



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: m201535091444

رقم التسجيل: m201535104720

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: أدب جزائري

بعنوان:

أدب المحنة و خصوصياته في رواية ذاكرة الماء
لوسيني الاعرج

■ بلقاضي بسمة

■ بعلي عايدة

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة :

لجنة المناقشة :

الصفة	الجامعة	الرتبة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر أ	مولود قاني
مشرفا ومقرا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر أ	بوديسة بولنوار
ممتحنا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر	عبد الحفيظ جوبر

السنة الجامعية: 1440 - 1441 هـ / 2019-2020



شكر و عرفان:

قال تعالى في محكم تنزيله "وسيجزي الله الشاكرين"

وكذلك مصداقا لقوله "ولئن شكرتم لأزيدنكم"

نشكر الله عز وجل أن أمدنا بالقوة والصبر على أن أتممنا هذه المذكرة

ونحمده على إنعامه علينا نور العلم، الذي أنار لنا الطريق إلى درب

العلم والمعرفة في أداء هذا العمل المتواضع

بكل امتنان واحترام نشكر الأستاذ المشرف "بوديسة بولنوار" الذي

ساعدنا في انجاز هذه المذكرة وكان هذا دأبه طوال مشوارنا الجامعي،

فشكرا على تفانيه،

كما نشكر كل من قدما لنا يد العون من قريب أو بعيد



المقدمة

إن المشهد الروائي الجزائري ثائر بالأحداث السياسية و الثقافية و الاجتماعية و شكلت المأساة التسعينية منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر المعاصرة فقد وقعت الجزائر في مواجهة دموية هي الأولى من نوعها ،و التي كادت تصل إلى حد الحرب الأهلية غير المعلنة التي تعددت بنسف أركان الدولة و هدمها ،و و تفويض كل القيم و مبادئ المجتمع الجزائري .

فعلى الصعيد السياسي شهدت هذه المرحلة تحولات عميقة هي نتاج لأوضاع داخلية و خارجية حيث انفجرت على الساحة الجزائرية جميع الميولات و الحساسيات و القناعات انطلاقا من خلفيات متباينة عقائدية ،إيديولوجية و حتى طائفية و مصلحة ،و عبرت هذه التحولات عن نفسها بمختلف الأشكال إلى درجة أنها اكتسبت منذ البداية طابعا تميز بكثير من العنف فكانت نموذجا لقياس صيغة الانتقال إلى التعددية و آلياتها و ماتوجهه من استحضارات قبل البث في حقيقتها العملية ،و لم يكن للأديب خيار إلا أن يتوحد مع هذه التحولات التي انعكست في علاقة جدلية على التجربة النفسية الروائية التي واكبت المرحلة و حاولت الاقتراب من الواقع و تفسير الأزمة و اندلاع العنف في الجزائر فكانت شهادات كتبت تحت ضغط الأحداث بصفة مستجلة لتسجيل ما يحدث في الجزائر ،محاولة لرصد خلفيات الأزمات الجزائرية الكبرى و تقديم حجمها و أبعادها ثم البحث في تهيئة بؤادر مقومتها فكريا و ثقافيا بعيدا عن العنف .

وظاهرة الإرهاب كانت نتيجة حتمية لتعالق مجموعة من العوامل و الأسباب التي أدت إلى اندلاعه .

فهو نتاج الأوضاع داخلية و خارجية عمقت الهوة إضافة إلى طابع العنف الذي أغرق المدينة بهول حجمه ،فالراوي الجزائري لم يكن بمنأى عن حركية العنف ،فقد واكب الأزمة و حاول الدنو منها و تفسيرها ،و تحت الضغط ظهرت كتابات روائية عديدة و عرفت بالكتابات الاستعجالية ،طرحت قضية الوجود الإنساني الذي أضحى في خطر

وظل العنف الارهابي التيمة المهيمنة فيها لأن هواجسه تطارد الكاتب ،فيحاول من خلال تجربته الفنية البحث في أبعاد الأزمة و خلفياتها ،و تقديرها لخلق بدائل ثقافية و ايدولوجية أكثر استقرارا و بعيدة عن العنف تخلق عالم أكثرا طهرا يحترم الأفكار و الأحلام .

من هنا جاء اختيار بحثنا الموسوم ب:أدب المحنة و خصوصياته في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج نموذجا ،حتى نمهد لبداية دراسة رواية المحنة الجزائرية التي أصبحت ملمحا بارزا من ملامح الأدب الجزائري المعاصر في محاولة لاخترق حساسية المرحلة و اقتحام هذا الموضوع رغم ما يحيط به من صعوبات تمنحه نكهة التحدي .

و أخترنا في دراستنا المنهج الوصفي التاريخي ،ذلك لما يتيح لنا هذا المنهج من إمكانيته الإلمام بثتى جوانب موضوع بحثنا فهذا لأننا بمدد وصف فترة زمنية أو مرحلة تاريخية مرت بها الجزائر طيلة 10سنوات. و تتمثل الإشكال التي قام عليه البحث في :

- ماهي الظروف التي أدت بالجزائر الى الدخول في مستتقع العنف والإرهاب ؟
- وكيف اثرت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للعشرية السوداء في الرواية ؟

- كيف واجه المثقف الجزائري المحنة الوطنية ؟
ولبلوغ الطموح المنهجي المقترح ومحاولة الإجابة عن الإشكال المطروح قسمنا الدراسة الى مدخل وفصلين وخاتمة

عمدنا في الفصل الأول إلى رصد حوصلة حول أدب المحنة من مفاهيم ،و البصمة التي تركتها هذه المحنة في الأعمال الروائية ،كما تطرقنا إلى الصورة العامة للبلاد و رصد الخلفيات التي مهدت لاندلاع العنف و تطور ظاهرة الارهاب في الجزائر ،خاصة في ظل تزايد درجة التطرف ،بدءا بالخلفية السياسية و ذلك بمحاولة دراسة

الحالة السياسية و ملامحها خلال مرحلة الحزب الواحد ثم الانتقال إلى مرحلة الانفتاح السياسي التي قادت البلاد نحو فوهة الانفجار ،مرورا بالأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية إلى غاية أحداث أكتوبر 1988 الذي يمثل انتفاضة شعبية عارمة و التي انتهت بظهور تيار

ديني سلفي كإتجاه إيديولوجي هذا الأخير الذي مثل الشرارة الأولى لاندلاع العنف في البلاد ، و عرجنا أيضا على أعمال الراوي الجزائري واسيني الأعرج الذي يمثل نموذجا في دراستنا لأدب المحنة و أهم خصوصياته من خلال روايته ذاكرة الماء.

و انتقلنا للفصل الثاني إلى الوقوف على أهم التيمات التي تجلت في رواية ذاكرة الماء و التي يمكن من خلالها حوصلة المحنة و رصد أوضح صورة لهذه الفترة الحاسمة في تاريخ البلاد ،فذكرنا في البداية الإيديولوجية و تجلياتها في ذاكرة الماء بعد التعريف بها و التي تمثل أفكار و قيم ليعمل صاحبها على بثها و ترسيخها في المجتمع ،ثم المثقف و الذي يمثل الركيزة الأساسية في الأعمال الأدبية والعضو الفعال و المشترك بين الوضعية التي تمر بها البلاد و العمل الأدبي و لأهمية المثقف حاولنا الإلمام به و ما يواجهه من ضغوطات وما استطاع أن يصل إليه رغم صعوبة الفترة .

و أخيرا العنف و الذي يمثل بدوره أهم ظاهرة عرفتھا الجزائر ضمن العشرية السوداء ،أما الخاتمة فجاءت لتكشف أهم النتائج و الأفكار التي توصلنا إليها في البحث،كأي بحث علمي يحاول كشف الحقيقة ،و قد صادفنا مجموعة من الصعوبات و العراقيل و التي حاولت تخطيها.

بكل إصرار أولا هي :

-طبيعة الموضوع الذي تتشابه فيه الخيوط

-الحالة الاستثنائية التي تعيشها البلاد و العالم ككل في ظل فيروس كورونا ، الذي أثر على الوضعية المادية و الحالة النفسية خاصة ..

-تشابه معظم الدراسات التي عالجت هذا الموضوع .

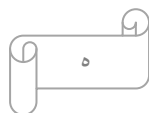
-و أخيرا تداخل العناصر ببعضها البعض مما أدى إلى صعوبة تقسيم البحث و من هنا نذكر بعض المراجع المعتمدة من كلا الفصلين أهمهما :

لسان العرب لابن منظور ،مدارات الرعب «فضاء العنف في رواية العشرية»

لعبد الله الشطاح ،«المتخيل و السلطة في الرواية الجزائرية لآمنة بلعلى ، الرواية و الواقع لمحمد كامل الخطيب».

مقدمة

و يبقى أن نشير إلى أن الدافع الأول في إختيار هذا الموضوع كان ذاتيا و ذلك
رغبة منا لإيجاد صورة أوضح لتلك الفترة التي ما يزال وقعها في نقوس الجزائريين و ذلك
للأحداث الأليمة التي عصفت بالجزائر و حصدت آلاف الضحايا .
و أخيرا نتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف "بوديسة بولنوار" فلولاه ما خرج
بحثنا هذا إلى حيز الإنجاز ، فقد قدم لنا كل الدعم ، و استقبلنا بكل تواضع و بشاشة
ناصحا مرشدا و كل من ساهم في هذا العمل .



المدخل

نشأة الرواية الجزائرية

عرفت الحركة الأدبية تطوارا كبيرا، نتج عنه ظهور أجناس أدبية جديدة، و لعل أهم هذه الأجناس الرواية التي لقيت اواقبال خاصا من طرف الأدباء والقارئ على حد سواء.

فعمل النقاد على ترقيتها وتطويرها وتحديد عناصرها الفنية، خاصة وان الرواية تختلف عن سائر الأنواع الكلامية الأخرى كالقصة القصيرة والشعر والمقال القصصي سواء كان ذلك من حيث المادة أو من حيث المعالجة الفنية. وقبل الحديث عن نشأة الرواية الجزائرية لبد من التطرق إلى تعريف الرواية ونشأتها عند الغرب والعرب. الرواية لغة: لقد جاء في المعجم الوسيط قولهم: « روى على البعير رياء: استسقى، روى القوم عليهم ولهم؛ استسقى لهم الماء روى البعير، شد عليه بالرواء: أي شد عليه لئلا يسقط من ظهر البعير عند غلبة النوم، روى الحديث أو الشعر رواية أي حمله ونقله، فهو رِو (ج) رواة، وروى البعير الماء رواية حمله ونقله، ويقال روى عليه الكذب، أي كذب عليه، وروى الحبل رياء: أي أنعم فتله، وروى الزرع أي سقاه، والراوي: راوي الحديث أو الشعر حمله وناقله، والرواية؛ القصة الطويلة¹». ونجد تعريف آخر لبن منظور في لسان العرب أنها : «مشتقة من الفعل روى، وقال ابن السكيت: يقال رويت القوم أرويهم، إذا استقيت لهم، فلانا فلان روى ويقال من أين ريتكم؟ أي من أين تروون الماء؟ ويقال شعرا ، إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه².

من خلال هذين التعريفين اللغويين نلاحظ ان الرواية لغة مشتقة من روى يروي رياء ، ويعني الحمل والنقل لذلك يقال رويت الشعر والحديث رواية، أي حملته ونقلته. بالإضافة إلى كون الرواية تحمل مدلولت لغوية متعددة، فهي بطبيعة الحال تحمل معاني

1 ابراهيم مصطفى حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول، دت، د ط، ص 483.

2 ابن منظور الفريقي، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 2003، ط4، ص 280-281.

اصطلاحية كثيرة أطلقها الدارسين، والمفكرين، وسنعرض فيما يلي بعض من هذه المعاني:

أما اصطلاحاً: تعتبر الرواية محور العلاقة بين الذات والعالم، وبين الحلم والواقع، وهي الخطاب الاجتماعي والسياسي، والإيديولوجي المتوجه دائماً ناحية حشد من الأسئلة، التي تتخذ من الإنسان والطبيعة و التاريخ محاور موضوعاتها لتعيده إليهم رؤى ووعي وبنى جديدة، تضيئ الواقع، باعتبارها جنساً أدبياً متغير المقومات والخصائص. وتداخلها مع أجناس أخرى، فإنّه من الصعب أن نجد تعريفاً دقيقاً خاصاً بها لكن هذا ليعني أن البحث عن مفهومها في غاية الصعوبة، بل هناك العديد من الدارسين الذين أوردوها، أو بالأحرى تعرضوا لمفهومها.

وقد يكون أبسط تعريف لها هو أنها شكل أدبي متميز، له ملامحه الخاصة، وقسماته الواضحة، هذا الشكل يتخذه بعض الأدباء وسيلة للتعبير ع ما يريدون التعبير عنه، أو هيكلًا لتصوير ما يرغبون في تصويره من أشخاص، أو أحداث، أو مواقف¹. وتعرفها أيضاً مارتا روبر «: بأن الرواية لم تحظ بتعريف دقيق، وهي إلى حد غير قابلة للتعريف² وقد عللت رأيها بأن الرواية ذات حرية شاملة في مادتها وأساليبها². والتعريف البسيط الشامل للرواية أنها مجموعة من الجمل التي تكوّن وحدة دلالية، والتي تكوّن معنى، وبذلك تكون نصاً يحمل مضموناً معيناً.

من التعاريف السابقة يتبين لنا بأن الرواية هي نوع من أنواع السرد، أوهي فن نثري يتناول مجموعة من الأحداث التي تنمو وتتطور و تقوم بها شخصيات متعددة في مكان و زمان معينين، وما يميز هذا الجنس عن سواه أنه منفتح على كل الأنواع الأدبية الأخرى.

1 الصادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي، دار الجنوب للنشر، تونس، 2003، ط2، ص 47.

2 سيد حامد النساج، بانو راما الرواية العربية الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دت، ط 2، ص

ولقد كان هناك تباين واختلاف في زمن ظهورها، فمن الدارسين من أدرج الروايات اليونانية القديمة رادا إليها إلى العصر الإغريقي، ومنهم و هم الأغلبية من جعل للرواية بدايتين واحدة للرواية اليونانية أو الرواية القديمة في القرنين الأول والثاني، والأخرى للرواية الحديثة في القرن السادس عشر، ومنهم من قال ان الرواية لم تظهر إلّا في القرن التاسع عشر مع "دون كيشوت"، أو حتى في القرن الثامن عشر مع سيادة البرجوازية، ومن الدارسين من حصر ظهور الرواية في عصرها الذهبي في القرن التاسع عشر، ويبدو أن الرواية كجنس أدبي قد ظهر أول في فرنسا في القرن الثاني عشر، وفي هذا المعنى يقول أحد الباحثين: « ان الرواية من حيث هي جنس حديث (...) قد نشأت في الغرب وفي فرنسا على وجه الخصوص¹.

نستنتج أنه لم يكن تحديد متفق عليه عند الغرب حول زمن ظهور الرواية. أما فيما يخص نشوء الرواية في الأدب العربي فقد كان مواكبا لبداية عصر النهضة الحديثة، ذلك ان هذا الفن الأدبي لم يعرف في القديم، وقد أدرجه بعضهم في إطار السيرة، كسيرة عنترة وقصص سيف بن ذي يزن، أو بني هلال، والوزير سالم وغيرها، فهي عبارة عن أخبار بطولية كانت تقص أثناء الاجتماعات وحلقات الأسمار، وكانت الغاية منها التسلية وتزجية الفراغ ليس غير، فكيف نشأت الرواية في أدبنا الحديث؟ لا ريب أن لاتصالنا بالغرب أثراً كبيراً في انتشار هذا الفن في أدبنا العربي، وكما مرت القصة بطور الترجمة فالإقتباس، فالوضع، كذلك كان الحال في الرواية خلال مراحل متعددة حتى استقرت في مسلسلات كراويات جورجى زيدان التاريخية والاجتماعية، وفرح أنطوان ونكولا حداد وغيرهم .

ويرجع الفضل في ظهور الرواية إلى عاملين أساسيين هما الصحافة والترجمة، فقد نشر سليم البستاني في مجلة الجنان التي أنشأها والده المعلم بطرس البستاني روايات عديدة منذ عام 1740م ومنها (الهيام في جنان الشام، زنوبيا ملكة تدمر، بدور، أسماء)

1 الصادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي، ص 83.

وكان له الفضل في شق الطريق أمام عدد كبير من الكتّاب فيما بعد، وكان لإنشاء مجلات (المقتطف، الهلال، المشرق) أثر واضح في تشجيع هذا الفن فقد ترجمت بعض الروايات عن الفرنسية خاصة، لكن هذه الترجمة كانت محرفة حيناً ومبتورة غير وافية أحياناً.

وَجاء بعد سليم البستاني "جورجي زيدان فكان له الفضل منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى عام 1713م وهي سنة وفاته في الإفلات إلى التاريخ العربي الإسلامي، يستمد منه رواياته من الدولة الأموية، العباسية، حتى بلغت إحدى وعشرين رواية، وفي المرحلة ذاتها نجد فرح أنطون الذي عرف برواياته الاجتماعية، كما ترجم بعض الروايات الفرنسية، وتلاه صهره نكول حداد ولهؤلاء الثلاثة يرجع الفضل في إرساء قواعد الفن في تلك الفترة من عصر النهضة.

وإذا ألقينا وا نضرة وراء البحار وجدنا في أمريكا الشمالية بذور الرواية على يد جبران خليل جبران في (الأرواح المتمردة، العواصف، والأجنحة المتكسرة) من عام 1708م حتى 1714م، وقد دارت هذه الروايات كلها حول موضوعات إجتماعية عاطفية، القصد منها تبين العادات والتقاليد البالية السائدة آنذاك.

ونلتفت إلى مصر فنجد محمد حسين هيكل الذي أصدر رواية زينب عام 1713م، ان كان كتبها قبل هذا التاريخ حين كان في باريس، وتدور أحداثها في الريف المصري الذي قصد الكاتب عرض مناضرة فيها، أكثر من العناية بفن الرواية ذاتها.

ونصل الى فترة ما بين الحربين العالميتين فيبرز لنا طه حسين في كل من رواياته (أديب، دعاء الكيروان، شجرة البؤس)، فيدفع الرواية إلى الأمام حين لجأ إلى التحليل والتصوير الاجتماعيين في رسم شخصياته، وتلاه توفيق الحكيم في روايات متعددة منها (عصفور من الشرق، عودة الروح، الرباط المقدس)، ولكنّه يترك كتابة الرواية ويتجه إلى المسرحية.

وفي عام 1920 أُصدر "محمود تيمور روايته (نداء مجهول) الذي استمد موضوعاته من الروحانية الشرقية وجرت أحداثها في مصيف لبناني و ان وشحها ببعض الأحداث الخيالية، وللمازني محاولات عديدة روائية منها: (إبراهيم الكاتب، ثلاث رجال وامرأة...). إلى جانب هؤلاء جميعا كُتاب عديدون وقد أسهم كل منهم في دفع عجلة هذا الفن، لكن النهضة الحقيقية للرواية كانت على يد جيل ممن تخرجوا من الجامعات المصرية خاصة منهم: يوسف السباعي، نجيب محفوظ... أما فيما يخص الرواية الجزائرية فلقد كان لتاريخ الشعب الجزائري وقع كبير في الأعمال الأدبية، وخاصة الرواية إذ نجد معظم الروايات كانت انعكاس للواقع المعاش، أدى إلى ظهور روايات اتسمت بالضعف اللغوي والتقني في بادئ الأمر، مثل حكاية العشاق في الحب والاشتياق لمحمد بن إبراهيم التي كتبها سنة 1837م وهي أول رواية جزائرية، ترقى لكنها لم إلى مستوى الرواية الفنية، فهذا عمر بن قينة نجده يتحفظ في اعتبارها رواية، والسبب في ذلك يعود إلى ضعفها اللغوي كما ذكرنا أنفاً، وعدم وجودها على الساحة الأدبية، وهذا راجع إلى مصادرة المستعمر أملاك المؤلف، وأملاك أسرته واضطهادها، ثم تبعتها محاولات أخرى في شكل رحلات ذات طابع قصصي منها ثلاث رحلات إلى باريس¹ (م.1702، م.1848، م.1882 سنوات وتلتها أعمال بدأت تعانق الفن الروائي بوعوي قصصي وجديفة في الفكر، والحدث والصياغة فكان أول جهد معتبر فيها رواية عادة أم القرى ل أمحمد رضا حوجو والتي ظهرت في الأربعينيات حيث تزامنت مع أحداث 8ماي 1738م، وقد اختلف بالضبط في زمن ظهورها.

فأحمد منور يُعتبر عادة أم القرى هي أول رواية جزائرية، وقد سار على منواله وأسبغ الأعراس حيث عدّها أول عمل روائي مكتوب بالعربية في الجزائر، ثم توقف

1 عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخاً، وأنواعاً، وقضايا، وأعلاماً، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ط 2، ص.174

الإنتاج الروائي حتى بداية الخمسينيات وهي مرحلة اندلع الثورة التحريرية الكبرى، حيث شهد هذا الحدث ظهور بعض الروايات مثل الطالب المنكوب لـ "عبد المجيد الشافعي" سنة 1718م، ثم تلتها رواية الحريق لنور الدين بوجدره سنة 1784م وبعدها ربح الجنوب لـ "عبد الحميد بن هدوقة" 1741م. وبعد رواية الحريق جاءت فترة الاستقلال وما بعده مرحلة الستينيات للأوضاع المزرية والصراعات المحتدمة بين الأحزاب مما انعكس سلبا على الإنتاج الأدبي، وهي فترة ليست بالهينة مقارنة بنظيراتها في الدول الأخرى، ولكنها كانت التربة الخصبة لإطلاق الرواية من جديد.

ومع بداية السبعينيات شهدت الرواية تطورا وتنوعا، ولم تعرف له مثيلا من قبل، ولم يكن ليحدث هذا النتاج بمعزل عن التغيرات الجذرية التي ظهرت خلال هذه العشرية، وقد تمثلت أهم هذه الأعمال الروائية عند كل من "الطاهر وطار" و"عبد الحميد بن هدوقة" و"واسيني الأعرج" وهذا لا يدل على ان الرواية توقفت عند هؤلاء بل واصلت مسيرتها إلى يومنا هذا مع العديد من الروائيين.

وقد «ظهرت الرواية الجزائرية متأخرة بالقياس إلى الأشكال الأدبية الحديثة مثل المقال والقصة القصيرة والمسرحية، بل ان هذه الأشكال الجديدة تعتبر حديثة بالقياس إلى مثيلاتها في الأدب العربي الحديث، ول شك ان الناس تعودوا على قارئ الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية، وترجمت هذه الروايات إلى العربية وبات الناس يرددون أسماء كتابها ويعرفون عنهم الشيء الكثير.

ولعل هناك ظروف كثيرة أسهمت في جعل من يكتب باللغة القومية مجهول إلى حد ما، في حين أنها أسهمت في التعريف بمن يكتب باللغة الأجنبية في الجزائر، حتى ان بعض الدارسين للأدب الجزائري الحديث في البلاد العربية حين عرضوا لهذا الأدب درسوا الآثار المكتوبة باللغة الأجنبية ولم يشيروا من قريب أو بعيد إلى من يكتب باللغة القومية، فضلا عن الباحثين في البيئات الأوروبية شرقا وغربا الذين احتفظوا بالأدب المكتوب باللغة الفرنسية وذهبوا مذاهب شتى في البحث عن الأدلة التي ساقوها لتأكيد

عرضهم، وقد أسهمت هذه الضجة التي أثّرت حول هذا الأدب عوامل شتى نذكر منها ان أجهزة الإعلام والثقافة الفرنسية قد روجت لهذه الفكرة لتظهر ان الثقافة الفرنسية خلقت كتّابا بارزين في الجزائر وان الإستعمار لم يكن علة وان مازرعه قد أثمر هذه النماذج الأدبية الجيدة، شعر ونثرا، كما أنّهم لفرنسية احتفظوا بكتّابه وقدموا لهم الجوائز طالما يعبرون باللغة ا¹».

من أسباب تأخر الرواية الجزائرية في الظهور عن الرواية العربية وبخاصة في المغرب العربي، دخول الإستعمار حيث حاولت فرنسا طمس الهوية الجزائرية من خلال فرض ثقافتها وأدبها ولغتها على الشعب الجزائري، ممّا أدى إلى ظهور طائفة من الكتّاب الجزائريين يكتبون باللغة الفرنسية، لذا فولدة الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية وغيابها باللغة العربية، هو ميلاد استثنائي كان نتيجة لظروف عاشها أفراد استثنائيون تمكنوا من ولوج المدرسة الفرنسية والاحتكاك بالثقافة والفكر الغربي، فكان أن قدّموا لنا إنتاج ابداعى في جنس الرواية، حيث يوظف الروائي اللغة الفرنسية كوسيلة للتعبير عن هموم الإنسان الجزائري، من بينهم محمد "ديب" في ثلاثيته، و" أسيا جبار" ، و كاتب ياسين" ...، إضافة إلى سبب آخر ألا هو انعدام نماذج روائية جزائرية بالعربية يمكن تقليدها والنسخ على منوالها.

نستنتج مما سبق ان الرواية الجزائرية ظهرت متأخرة مقارنة بالأشكال الأدبية الأخرى، وكان معظم كتّابها يكتبون باللغة الفرنسية في فترة الاستعمار، ذلك ان الثقافة الفرنسية كانت تغطى على الثقافة العربية آنذاك، لكن بعد ذلك ترجمت الروايات الجزائرية إلى اللغة العربية.

1 عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، -1804. 242- 248م، د ط،

الفصل الأول

الصراع الأيديولوجي في الرواية الجزائرية

تمهيد :

أولاً : مفهوم المحنة :

ثانياً : العشرية السوداء في الجزائر

ثالثاً : كتابات واسيني الأعرج ضمن أدب المحنة

تمهيد :

تشهد الرواية العربية الجزائرية تطورا و انتعاشا مثلها مثل غيرها من الفنون الأدبية لذلك لا مكن أن يكون أن يكون هذا التغير حدث دفعة واحدة بل إن هذا التغير حدث بشكل بطيء و متدرج و مازال مستمرا و عليه لابد من الإشارة إلى ما تتبناه الرواية الجزائرية هو حكاية المجتمع الجزائري و ما يعاينه سواء جزاء الاستعمار الفرنسي أو ما خلفه من دمار على جميع الأصعدة ،و ما عقبه أيضا من تحولات سياسية و اقتصادية و اجتماعية و غيرها ،فلا يمكن تصور هوية دون جغرافيا ترابية و بشرية و مر ذلك أنه أصبح لكل بلد عربي حكاية تتغذى من المؤثرات السياسية و التاريخية،و للجزائر حكايتها أيضا ،و عليه « صارت هوية الرواية منسوية إلى قطريتها » .

إن أي نوع من الكتابة هو عبارة عن استجابة المتطلبات مرحلة تاريخية لذلك كان للعشرية السوداء بالجزائر بصمة واضحة في الكتابة الرواية الجزائرية في هذه الفترة الحاسمة في تاريخ الجزائر .

أولاً: مفهوم المحنة :

إن مصطلح المحنة هو مصطلح واسع تعددت فيه التعريفات و التسميات و من أهم المؤلفات التي تناولت المحنة و أعطت لها تعريفا نجد معجم الوسيط و معجم لسان العربي و هذا الأخير عرف المحنة من الناحية اللغوية على النحو الآتي :«المحنة ،الحيرة و قد امتحنه ،و امتحن القول نظر فيه و دبره .التهذيب كعته بن عبد السلمى و كان من أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم ،حدث رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: القتلى ثلاثة ،رجل مؤمن جاهد بنفسه و ماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو .قاتلهم حتى يقيل فذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة .قال شمر : قوله فذلك الشهيد الممتحن هو المصطفى المهذب المخلص من محنة الفضة إذا صفتها و خلصتها بالنار «¹ كما جاء أيضا في لسان العرب العديد من الشروحات في مصطلح المحنة و كان هذا المصطلح يأخذ معناه من القلب الموجود فيه و من خلال المعنى الذي تصيبوا إليه الجملة ككل و دراسة الأدباء لها .

«و روي عن مجاهد في قوله تعالى :«أولئك الذين امتحن الله قلوبهم " قال خلص الله قلوبهم و قال أبي عبيدة :امتحن الله قلوبهم صفاها و هذبها ،و قال غيره الممتحن الموطأ و المذل ،و قيل :معنى قوله "أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى " شرح الله

1 الإمام العلامة ابن المنظور .لسان العرب باب الميم ،مادة محن ،ج13،دار إحياء التراث العربي للطباعة و النشر و التوزيع .ط:3، 1999م .ص42.

قلوبهم ،كأن معناه وسع الله قلوبهم للتقوى و محنه وامتحنه بمنزلة خبرته و
اختبرته،وابتليته¹»

كما جاء أيضا في معجم الوسيط مفهوم المحنة لغة بأنها :فلان محنه خبره وجبره ،فاشت في تعذيبه و محن الفضة خلصها وصفافها بالنار ،و الأديم لينه و مدده حتى وسعه فلان وقع في محنه فهو محون.

-امتحن فلانا اختبره ،و الشيء نظر فيه و دبره .

-الامتحان و الاختبار و الابتلاء .

- المحنة :البلاء و الشدة ج محن .¹

أما اصطلاحا : أن مصطلح أدب المحنة له العديد من التسميات

«إلا أنها تصب في معنى واحد وهو السواد ،و الخراب الذي حل بالمواطن الجزائري،و من الروائيين الذين تحدثوا عن ظاهرة العشرية ،نجد واسيني الأعرج وبشير مفتي ،إبراهيم سعدي و محمد ساري ،و جعفر بابوش الذي تحدث عن إشكالية تسمية هذا الأدب بقوله : «كثرت و تعددت في الوسط الجزائري ...أطلق البعض من زملائنا الأدباء و الباحثين الجامعيين على الكتابة الأدبية الممتدة من 1990 إلى 2000صلاح كتابة المحنة و الاستعجال²»

1 المرجع نفسه

1 إبراهيم أحمد الزيات و آخرون :معجم الوسيط،تح مجمع اللغة العربية ،باب الميم ،مادة محن ،ج3،مكتبة مشكاة الإسلامية ،ص.526

2:عبد الله الشطاح ،مدارات الرعب (فضاء العنف في رواية العشرية ،مطبعة ألف للاتصال و الأسفار ،2014،من (142

3:فريدة إبراهيم موسى :زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية ،دراسة نقدية ، دار غيا للنشر والتوزيع ،عمان ،2011، ص25 .

4:المرجع نفسه .

ونجد الكاتبة الجزائرية تذكر زمن المحنة على أنه : «زمن المأساة، زمن ألا أمن
،زمن الفجعة ،زمن الموت»³

كل هذه المصطلحات تعبر عن فترة صحبة مرت بها الجزائر طيلة 10سنوات
كما « يتخذ زمن المحنة أسماء أخرى كالعشرية السوداء أو الحمراء ،أو مأساة الوطن
،أو الحرب الأهلية⁴ ».

في هذه الفترة الجد صعبة استطاع الكثير من الأدباء الجزائريين بين إنتاج أعمال
روائية تحمل تجربة عميقة عايشت الفجعة التي مست البلاد في العشرية الجزائرية
،فجاء أدب التسعينات ليمثل الجزائر الألم و المعاناة ،فاعترفوا من أواع البلاد مادتهم و
حاولوا رسم معاناة الوطن في قالب فني .

و لأننا مجبرين على تسمية هذا الأدب حين الحديث عنه فنحن نسميه «أدب
الأزمة و أدب المحنة»دون أن نؤسس اختيارنا على معيار محدد ، و ربما لمجرد رأي
بأن ما حدث في الجزائر تلك الفترة ما هو إلا أزمة و محنة عابرة .

ثانيا :العشرية السوداء في الجزائر

أ/الملاح العامة للحالة السياسية و الاجتماعية للجزائر خلال العشرية السوداء .
لا شك أن التغييرات التي حدثت في الجزائر على المستويين السياسي و الاجتماعي و
خاصة بعد حوادث أكتوبر 1988^٥ ،قد نتج عنها تبلور فكر جديد فكان لهذه التحولات
"التي دارت رحاها في القطر الجزائري و هي صراع مسلح دار بين النظام الجزائري
القائم و فصائل متعددة تتجنى أفكار موالية للجبهة الإسلامية لإنقاذ إحدى
الأحزاب الوطنية ذات الاتجاه الإسلامي و بدأت هذه الصراعات في يناير

1992م عقب إلغاء نتائج الانتخابات التشريعية لسنة 1991م بالجزائر التي حقق فيها الإسلاميون فوزاً مؤكداً مما أدى التي تدخل الجيش لإلغاء الانتخابات¹ هذا ما أثار غضبهم، و كان لابد من التعبير عن وجهة النظر الراضة للقرار بأي طريقة حتى و إن كان بالقوة» و على إثر ذلك بدأت الفتنة التي استخدم فيه السلاح و العنف كوسيلة للتغيير عن الرفض و النتيجة الحتمية لذلك قوافل الضحايا من الشعب البسيط²

و لقد كانت هذه النتيجة الحتمية في حال غياب الحوار «فالحوار وحده كان يمكن من اقتصاد دماء الجزائريين الغالي»³ لأن الحوار الصادق و الموضوعي كان بإمكانه أن يخرج البلاد من هذه الأزمة، و عدم إغراق البلاد في حالة غير متزنة و مستقرة و لو عدنا إلى العقيدة الإسلامية لوجدنا أن الدين الإسلامي قد حثنا عن الشورى في قوله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم «فبما رحمة من الله لنت لهم و لو كنت فضا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم.

و شاورتهم في الأمر فإذا عزم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين»⁴ فكانت الرواية أول قناة توصيلية، لم يجد الأديب خير منها ملاذاً يحكيها شكواه وألمه و يفرغ فيها الأحزان التي ألمت به و أبناء وطنه الأبرياء فراح الأدباء و الروائيين خاصة يدنون رواياتهم» فالرواية أكثر توغلاً في أعماق النفس البشرية»⁵ و عليه انفتحت الرواية الجزائرية المعاصرة على أفق التجديد و الحداثة التي جرت في الجزائر كانت بمثابة الأرض الخصبة لنمو و تطور الرواية الجزائرية المعاصرة لأن «تطور الجنس

1 فريدة ابراهيم موسى: زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية، دراسة نقدية، دار غيداء للنشر و التوزيع، عمان، 2011، ص23.

2 المرجع نفسه ص 23.

3 الرئيس يوسف بن خدة: شهادات و مواقف، دار النعمان، برج الكيفان، الجزائر ط2004، ص1، ص358.

4 آل عمران: الآية 159

5 الدكتورة: مريم جبر فريحات: التحليلات الملحمية في رواية الأجيال العربية، وزارة الثقافة، عمان الأردن، ط1، 2005، ص58.

الروائي عبر المراحل التاريخية المختلفة قد ارتبط بتطور الذات "le sujet" باعتبارها الظاهرة البارزة في كل تحول اجتماعي و سياسي

و مع هذه الويلات التي يعيشها المجتمع الجزائري، أصبحت الكتابة¹

في زمن المحبة هي الوسيلة التي يتجاوز بها الإنسان محنته ويخفف من وطأة الجو العام ، فالروايات أعلنت عن حيرتها من خلال تناولها لأسباب وخلفيات المحنة الوطنية ، وأبدي الأديب صورة المجتمع في ظل هذه الأوجاع وما يعاينه المواطن الجزائري عامة و المثقف خاصة ، فأصبحت الكتابة وسيلة للتعبير عما عجزت عنه الصحافة و العالم لسياسي و غيرها فهي «لمجال الأمن الأكثر موائمة للتعبير عن المعيش تصرح ما لم يقول به العالم السياسي و تذيب ما لم به علم الاجتماع ، و تنشر ما يخفيه عالم الاقتصاد و يحجبه»²

و في رأينا الخاص أن الحالة السياسية و الاجتماعية لها دور كبير في تغذية الفنون الأدبية و نحض بذلك الرواية و التي تمثل موضوع بحثنا ، فلا يمكن فصل الأديب عن الحيز الجغرافي لما فيه السياسي و الاجتماعي و تجريده من هذه الخاصية الملازمة له

ب/الملاح العامة للحركة الروائية زمن المحنة و أهم مميزات روايات فهذه الفترة .
-إن الوضعية التي آلت إليها البلاد أقل ما يقال عزاها أنها مزرية ،الأجواء عاصفة و غير مستقرة ،درجة أن أصبح الغريب غريب وطنه و هذا ما دفع الروائيين الجزائريين إلى التغير و محاولة استيعاب الأزمة و الإلمام بها.

علما أن الخطاب الروائي الذي تضمنته الروايات منذ التسعينات قد تما هي مع الثورة التحريرية بكل تفاصيلها و تحولاتها ،و الثورة الاجتماع التي أعقبت الاستغلال

1 محمد داود: الرواية الجديدة بنائها وتحولاتها. مقارنة سوسيو نقدية ،ابن نديم للنشر و الثورة ،وهران ،الجزائر ،ط1 ،2013م ،ص 273م.

2 فيصل دراج: نظرية الرواية المعاصرة ،المركز الثقافي العربي ،بيروت ،ط1 ،1999م ،ص 157.

و حاورت المصائر الفردية و الجماعية بكل طموحاتها و انكساراتها بعد ذلك ،بداية الثمانينات و حتى نهاية التسعينات حيث بلغت الصراعات السياسية أقصاها مع بروز أصوات تدعو إلى قيام نظام سياسي جديد ،هكذا بدأت الرواية الجزائرية جراء هذه الظروف الجديدة تعرف ما يمكن تسميته ب«مرحلة السلك» «إذ عبرت نصوصها و بطرق مختلفة عن هذا الوضع المتأزم الذي بلغ ذروته مع بداية التسعينات التي اتسمت بانشغال العنف الرمزي و المادي ،أي الاغتيال السياسي الفردي و الجماعي ،إنها مرحلة تداخل المفاهيم و وزعزعة *وغياب الأمن و الاستقرار السياسي و الاجتماعي»¹ هذه الظروف التي دفعت إلى بروز أدبا جديدا فالأزمة الوطنية .

خلال العشرية السوداء تختلف عن الثورة التحريرية في ظروفها ودقائقها وملابساتها ،فإذا كانت الثورة ضد العدو واضح ومعلوم وهدفها استرجاع الحرية و الهوية الوطنية فإن الأزمة الوطنية .بين أبناء شعب واحد وتحت راية وطنية واحدة مجهولة وغامضة لحد الساعة ،و إن مهدت لها صراعات إيديولوجية وسياسة منذ انقلاب 1965¹ وصولا إلى أحداث 1988م التي مست التراب الوطني كافة و خلفت جرحا عميقا لم *بعد «فعبق حوادث 1988¹ و إصدار دستور 1989¹ كنا على وشك تأسيس أول سلطة منتخبة من قبل الشعب فالشعب عبر عن اختياره في الدور الأول من الانتخابات التشريعية في ديسمبر 1991م للأسف تمت مصادرة هذا الاختيار ظلما وعدوانا في جانفي 1992م ²»

و عليه إن الرواية الجزائرية واكتب هذه التصورات و الأزمة التي عاشتها الجزائر ،و حاولو من خلالها رفع الواقع بطريقة فنية كتابية وبرز العديد من الأدباء الذين كتبوا

1 محمد داود:الأدباء الشباب و العنف في الوقت الراهن ،ضمن مجلة دفاتر إنسانية،مجلة جزائرية في الانثربولوجية و العلوم الاجتماعية ،تصدر عن مركز البحث في الانثربولوجية الاجتماعية الثقافية ، الجزائر ،ع1،ص106.

2 الرئيس يوسف بن خدة :شهادات و مواقف ،ص349

في هذه المرحلة أمثال بشير مفين إبراهيم سعدي .أحلام مستغانمي،آسيا جبار ،و فضيلة فاروق.

وعليه إن ظهور موجة جديدة من الكتابة الجزائرية مع نهاية الثمانينات و بداية التسعينات و التي تحررت من الرواية الكلاسيكية ،و عرفت تحولات هامة خاصة على مستوى المضمون و البناء *الجمالي ،و رسمت المأساة الوطنية و نقلت مظاهر العنف و الإرهاب الذي حصد أرواح آلاف الجزائريين و «وصارت الرواية الجزائرية المعاصرة مرجعا لمؤرخ الأحداث التي مرت بها الجزائر حيث يتميز المشهد الروائي الجزائري منذ التسعينات من القرن العشرين بظهور نمط جديد من الكتابة السردية ،أنتجته مناخات الفتنة الجزائرية بوسم "برواية المحنة"و هي رواية تتخذ من المأساة الجزائرية بؤرة سردها «¹الرواية عبارة عن مادة فنية تجمع كل الميزات التاريخية و الاجتماعية و الحالة السياسية السائدة و عليه » راحت الكتابة الروائية تواكب العشرية السوداء فولد بذلك نوع روائي جديد تقلد مجموعة من الكتاب لمجموعة من النصوص الروائية و القصصية بالغتين الفرنسية و العربية التي تصب كلها و تتبع من الأوضاع المفجعة التي عاشتها الجزائر منذ التسعينات «².

كما أن للروايات التي نقلت بين طياتها الأزمة و صورت المحنة تصويرا دقيقا و حاولت الإلمام بالأسباب و دوافع هذه المرحلة التي مست الوطن وحصدت أرواح آلاف الجزائريين لها خصائصها التي ميزتها «حيث ركز الروائيين على أوضاع الذوات باعتبارهم ذوات الحالة ، و على نتائج فعل الموت و حالات الحزن و اليأس و الألم التي يخلفها في النفوس و حالات الدمار و القتل التي يخلفها في الواقع»³ وهذه الروايات

1 بوشوشة بن جمعة :جدلية الوطن المنفى و ذاكرة الرهانات الخاسرة في رواية شرفات بحر الشمال مجلة العلوم

الأساسية ،العدد 10،جامعة بسكرة ،2004م ،ص96

2 كريبع نسيمة :ابعاد الصراع الإيديولوجي لشخصية الفنان في رواية بم تحلم الذئاب لياسمينه خضرا مجلة

الأثر،العدد14،جامعة جيجل ،الجزائر ،2012،ص25

3 أمنة بلعلي :المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف ،دار الأمل ،الجزائر 2007.ص84

تماشت مع تطور الأحداث وسأيرت الأزمة بكل جوانبها، فالرواية أكثر سيولة. من غيرها فقد استطاع الروائيين من خلال تصوير المحنة بكل حذافيرها

«كما تدرج الروائيون في تمثيلهم للعوامل المنفذة بشكل يتماشى مع شكل الأزمة و طبيعتها في الجزائر، فقد كان التفاعل في بعض النصوص مجهولا تماما و ذلك تماشيا مع الغموض الذي صبغ بداية الأزمة»¹

هذه المحنة التي عرفتها الجزائر لمدة تقارب العشرية سنوات انتخب أدب ذو طابع خاص، و رؤية منفردة فجرت قرائع الكتاب بنصوص روائية ارتبطت في ظهورها و مضمونها بالعشرية بكل ما نملك من الألم، القتل الموت و «لم يكتفي الروائيون بتصوير الموت و الاغتيالات فقط، بل صوروا العوامل التي ساعدت على هيمنته البيروقراطية و الإقصاء و وضع المتقف و الجهل و غيرها مكن الظواهر المسببة أو الناتجة عن فعل الموت»²

وعليه إن الرواية تعكس الواقع بكل حذافيره وتصور الموجود بكل دقة، فيحاولوا الراوي تغيير الواقع من خلال أعماله و بطريقة قد تكون غامضة نوعا ما و ذلك لتفادي انعكاسات آرائه و أعماله على حياته

ثالثا: كتابات واسيني الأعرج ضمن أدب المحنة

إن الأزمات التي دارت في الجزائر إبان العشرية السوداء، و التي ضربت بأرض الجزائر كانت من المكونات الأساسية التي شكلت الرؤية المأساوية لدى غالبية الروائيين. فجذور الصراع الذي دار في الجزائر و مسبباته، بوصفه المكون الفاعل و المباشر

1 المرجع نفسه: 84

2 المرجع نفسه: 85.

الذي كان له أثر في تشكيل رؤية الكتاب، «فالشكل يعتبر الأداة التي تتماثل مع رؤية المبدع وليس انعكاسا له»¹

ورؤية المبدع هذه للواقع لانشطرت عن رؤية الجماعة: «و الحديث عن هذه الرؤية يستدعي في بعض جوانب عملية وعي». ² مما لاشك فيه أن وعي المبدع بحال عصره يكون نتيجة تضافر و تلاقي وعي الأفراد والجماعة، «فوعي مبدع لابد أن يكون ملتحما على نحوها بالوعي الشامل... فالفنان لا يستطيع أن يتخيل رؤية المجتمع للعالم إلا في إطار هذا الوعي الشمولي، فهو يستوعب مايشيع حوله من مفاهيم عقلية بالقدرة التي يستطيع بموجبها أن يفهم الأمور و أن لا يكون منفصلا أو شاذا بالقدرة عن العصر الذي هو فيه».³

إذ رؤية المبدع هي نتيجة حتمية لوعي الجماعة التي ينتمي إليها، وبالتالي فرواية المبدع الجزائري كانت حصيلة لفهم الجماعات لمجريات الأحداث، وقد تمايزت رؤى الروائيين للواقع الراهن نظرا لغموض الحدث و أطرافه المتنازعة .

و إعتد الكتاب فن الرواية بوصفة أحد الأطر الفنية التي يمكنها إبراز عدة حالات بشكل دقيق و معبر، «فالرواية ليست تجسيدا للواقع فحسب، و لكنها فوق ذلك موقف من هذا الواقع، و هذا الموقف لايمكن أن يتشكل إلا بإعادة إنتاج هذا الصراع الواقعي و الايديولوجي في النص . و الرواية نسق من العلاقات، و النسق لايتأسس في ذاته إلا من خلال التناقضات»⁴ فالرواية تماثل مع الواقع ولكنها تسمو فوقه لتخلق

1 صدر نور الدين: البنيوية التكوينية، مقارنة نقدية في التنظير و الانجاز، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، د.ط، 2009، ص300.

2 ينظر صدر نور الدين، البنيوية التكوينية، ص298.

3 ينظر صدرا نور الدين، البنيوية التكوينية ص299.

4 إبراهيم عباس: الرواية المغاربية، تشكيل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي دار الرائد، الجزائر، ط1، 2005، ص58.

عالم تخيلي تتصارع فيه الأفكار ، و الرواية الجزائرية المعاصرة إتخذت هذا المنحنى في توجهها نحو الواقع والتعمق في فهمه وتسجيل أزماته .

فالرواية واكبت الواقع الجزائري في كثير من فتراته التاريخية ،ولما و تعرض هذا المجتمع للعنف المسلح وحدثت اضطرابات تعاملت مع هذا العنف وسجلت آثاره ،و من بين الكتاب الروائيين الجزائريين الذين كانت لهم كتابات حول أزمة العشرية السوداء ،الكاتب واسيني الأعرج و من بين كتاباته :

-سيدة المقام: 1997¹

و هي التي تبنت الأبعاد الأيديولوجية و التاريخية و السياسية لظاهرة الإرهاب في الجزائر ،و التي قال عنها مخلوف عامر في وصفها للإرهاب . «أنه مظهر من مظاهر إنه رأس الحرية و الجناح المسلح و ما الأصولية سوى الخزان الخلفي الذي سيظل يفرز الممارسات الإرهابية مابقي ،و قد تحبوه جمرة الارهاب تحت رماد التواطؤات السياسية زما .و لكنها ستعسر من جديد كلما «حركت الأصولية ريحها» .²

فالمقصود أن ما وراء الإرهاب في الجزائر في الروايات هو الأصولية يعني إيديولوجية توجهه:فإذا خبت نار الإرهاب يعود الأمر لها و إليها فهي سيدة القرار ،و يمكنها أن تعصف من جديد بتحريك الإرهاب و توجهه لغاياتها المنشودة و مصالحها .

إن التشكيل الذي اهتدى له الروائي واسيني الأعرج :«له دلالات العنف»،³ إنطلاقا من الوصف الشكلي و المظهر الخارجي لحراس النوايا ،فيقول السارد :

1 عبد الله أبو هيف :الابداع السردى الجزائري ،الجزائر عاصمة القافة العربية ،الجزائر ،د،ط،2007،ص350.
2 ينظر :مخلوف عامر ،الرواية و التحولات في الجزائر ،دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية ،دار الأديب ،منشورات مديرية الثقافة لولاية معسكر ،د،ط،د،ت،ص،102.
3 الشريف حبيلة :الرواية و العنف...دراسة سوسيو نصية ،في الرواية الجزائرية المعاصرة ،عالم الكتب الحديث ،أريد لبنان ،ط1، 2010،ص235.

«القبعة الأفغانية ونعاله بومنتل والقشايبة و المعطف الأمريكي من فوق ،و نفي العصر و الحضارة من ذاكرة الناس ،تشمهم من بعيد فتغير المعابر و الطرقات رائحة عطورهم القاسية و العنيفة تسبقهم ،عطر يشبه في قوته العطر الذي يسكب على جثث الأموات»¹ إن صورة المطرف التي أدرجها واسيني الأعرج شديد التشابه و الصورة الحقيقية في الواقع كادت تتطابق و إياها :

و كانت لواسيني الأعرج رؤية أخرى في روايته حراس النوايا في سيدة المقام ،انتقل لوصف واقع السلطة ،«و قد عرض لنا عمل هؤلاء الحراس باعتبارهم شرطة من نوع جديد لانهم يحرسون النوايا ،فلم تبقى المسألة عند حدود القمع التقليدي أو المعاقبة على فعل لاينبغي القيام ،القمع في هذه الحالة بلغ درجة قصوى بحيث يحكمون بحسب النوايا.»² ويتمثل قمع السلطة في تواطؤها مع الآلة الإرهابية التي قامت بجرائم شنيعة ونكلت بالجثث و هذا ماقد خشاه السارد ونبأه في قوله :« تصور أن أفضع ما أخشاه ،عندما تتعقد الأمور ،أن يركب المسؤولون طائراتهم الخاصة و يغادروا البلاد بعد تركها في دماء الفتنة والحروب الأهلية (...).» أمن يدري قد يتحالف بنو لكلبون وحراس النوايا على رؤوسنا³

إن واسيني الأعرج في سيدة المقام يدين السلطة و الارهاب ،ويؤكد غرقهما في قاع الرذيلة باعتبارها مصدر العنف و انهيار الجزائر ،فالسلطة في نظره من خلقت هؤلاء يتسببها و احتكارها للثقافة و توريها لثقافة الدروشة و الخرافات.

2- حارسة الظلال -دون كيشون في الجزائر -

1 واسيني الأعرج ،سيدة المقام ،مراسي الجمعة الحزينة ،دار ورد للطباعة و النشر و التوزيع .سوريا ،دمشق ،ط5، 2006ص12.

2 ينظر واسيني الأعرج : سيدة المقام ،عن مخلوف عامر .الرواية و التحولات في الجزائر، ص129.

3 واسيني الاعرج ،سيدة المقام مراسي الجمعة الحزينة ،ص42.

الصادرة 1996م واسيني الأعرج، و التي تعد رواية سياسية اجتماعية تنقد الوضع الجزائري من الداخل ،و تعري الأمراض الحكومية بالدرجة الأولى ،و من ثم العاهات الثقافية المسيئة .

فرواية حارسة الظلال بنيت أحداثها على الزائر الأجنبي دون كيشون ،الذي كان قدومه لأجل عمل كتاب عن جده دي سيرفانتيس، فإنهم بالجوسسة، و أحسن بالخطر مستضيفه و صديقه حسيبن فيقول له،«على كل حال ...أتحدث عن الإسلاميين يخططون لاغتيال كل الأجانب الذين لم يغادروا البلد بعد إنتهاء مهلة الإنذار»¹ فواسيني الأعرج في هاته الرواية إعتد شخصية حسيبن الذي كانت له وقفة مشرفة ضد المتطرفين و السلطة الجزائرية في وقت واحد ،و يكمن الحدث النواة في الرواية عندما تحتجز السلطات الجزائرية دونكيشون بتهمة أنه لايملك وثيقة سفر رسمية ،و من ثم إتهموا بأنه جاسوس فبدأ حسيبن رحلته في الدفاع عن صديقه ،و لكنه يتعرض لعوائق تكون سببا في تدمير حياته ،و رغم هذا يثبت حسيبن المثقف المحارب ،من قبل السلطة و المتطرفين أصالته وثباته على مواقفه بشكل صورة المثقف الملتزم و الايجابي الذي سيناضل بالدم من أجل مبادئ»²

أرادت هذه الشخصيات المثقفة المتفتحة الإيجابية و الملتزمة بمبادئها إحداث تغيير برؤاها و أفكارها وعيا منها بالماضي والحاضر مستشرقة الغد ،لكنها وجدت نفسها محاصرة تعاني تهديدا من أطراف مجهولة .

3/ذاكرة الماء محنة الجنون العاري :الصادرة سنة 1997م ،و التي أجهد الكاتب فيها الكاتب نفسه للإجابة عن بعض المستحيلات دون أن تخسر الكتابة شرفها . "كتب داخل اليأس و الظلمة بالجزائر و مدن أخرى على مدار سنتين من الخوف و الفجيعة :بدءا

1 واسيني الأعرج: حارسة الظلال ،دون كيشون في الجزائر ،منشورات الجمل ، ط1999 ص 23.

2 ينظر :واسيني الأعرج ،حارسة الظلال دون كيشون في الجزائر ،سعاد عبد الله العنزي ، صورة العنف السياسي في

الرواية الجزائرية ،المعاصرة ،دراسة نقدية ،دار الفارشة للطباعة و النشر ،الكويت ،ط1، 2010، ص55-56

من شتاء 1993م أي منذ ذلك اليوم الممطر جدا العالق في العلق كغصّة الموت و الذي لم تستطع الذاكرة نسيانه ولامحوه بين دهاليزها ورمادها .و أنهى بالجزائر بين سنة 1995م ذات يوم شتوي عاصف على واجهة بحر خال¹. تجمل بين طياتها كل الألم و المآسي التي عاشها الشعب طيلة هذه الفترة .

و منه تظل الرواية من أكثر الأجناس الأدبية تعقيدا أو أكثرها استحضارا للواقع ،و ذلك لالتقاء العديد من الأنساق فيها و تواجها ،فجعلت من الأنساق الفكرية و الإيديولوجية متكأ،وحتى قضاء التخيل معبر للإفصاح عن الآمال و الطموحات ،و العمل الروائي الجزائري إنساق هو الآخر وراء التجريب ،راحت هذه الرواية تحفز بكثافة في أعماق الواقع الجزائري التسعيني المتعفن ،متسألة عن جذور هذا الورم ،الذي أصاب الجزائر و نخرها ،رابطة إياه بقضايا الصراع السلطوي الذي شب إبان الثورة ،و أيام الاستقلال و بعده .وكذا سلسلة الرؤساء الذين تربعوا على كرسي السيادة فاضين أنظمتهم التي سرعان ما انحلت و انبثقت عنها مشاكل لا حدود لها .و بتشكيل فني يحمل التجديد في ثناياه ،عبرت عن الوقت الراهن و عن ظاهرة العنف التي عصفت بالبلد تمهيد إذا كانت رواية الثمانينات في الجزائري هي امتداد الرواية السبعينات التي ظلت غارقة في الرؤية التي أنتجها الأدباء المؤسسين ،كما أنها لم تستطيع أن تنتج نصوصا تميزها عن غيرها و تعلن بذلك قطيعتها برواية السبعينات فإن هذه القطيعة سواء من حيث الرؤى أو التيمات ،لم تحدث إلا مع جيل جديد من الروائيين الشباب الذين نسجوا نصوصا من رحم الأزمة الجزائرية ،نصوص ذات حساسية أدبية و معرفية مغايرة ،كانت بمثابة ردة فعل لتلك التحولات العميقة التي عرفتها الجزائر على جميع الأصعدة إبتداء من أحداث أكتوبر 1988،و التي دفعت بالرواية الجزائرية إلى التخلص من وثن الثورة الذي حكم الذهن الإبداعي منذ الاستقلال .

1 واسيني الأعرج:ذاكرة الماء ،محنة الجنون العاري ،ورد للطباعة و النشر للتوزيع سورية ،ط4، 2008،ص9.

إن الرواية الجزائرية خلال هذه الفترة لم تكن إلا صدى الأحداث التي هزت البلاد، و عبرت عن الراهن و* و قامت بتعرية المجتمع و الكشف عن حقيقته* في تشويه صورة البلاد و التنديد بالواقع و إدانة الأعمال الدموية. أما إذا أردنا الغوص في أعماق الرواية التسعينية و الكشف عن أهم التيمات التي فرضتها الأزمة الوطنية، و ألهمت مشاعر الكتاب الروائيين الذين فرضوا حضورهم بقوة في الكتابة الروائية، نجد بعض الروايات تتحرك تحت مظلة الخطاب الرسمي الإيديولوجي اما تصريحاً أو تعريضاً، بخاصة ذلك الصراع الإيديولوجي القائم بين السلطة السياسية و الحركة الإسلامية، و من ثم صراع المثقف مع هاتين الاديولوجيتين، هذا المثقف الذي وجد نفسه سجيناً و اسيراً بين نارين نار السلطة و جحيم الإرهاب، هي ضريبة يدفعها المثقف نتيجة الاديولوجية الثورية و تحديه، و رغبته في كسر حاجز الظلم و طمس معالم القهر و العدوان، هما شكل موضوعاً رئيساً متواتر الحضور و مكثف الدلالة في المتن التسعيني . و من أبرز الموضوعات التي ميزت الأعمال الروائية التسعينية، موضوع المثقف و الاديولوجية . و العنف و الفجيرة و أبجديات التقتل و التنكيل و السجن و التعذيب، سواء كان العنف من طرف الإسلاميين أو السلطة الحاكمة، كليهما عملاً جاهداً في إبراز تسلطهما* في أنواع التعذيب و التقتيل و التربص بالمثقف و الكيد له.

كل هذه القضايا اهتمت بها رواية التسعينات و ذاكرة الماء على وجه الخصوص، و حاولت بذلك إنتاج وصياغة الواقع بأسلوب فني خيالي، و هي بذلك* المجتمع و تصور العنف الموجه ضد المثقف بطرق فنية وإبداعية تختلف من كاتب لآخر .

ولأننا لا نستطيع أن نتعرض بالدراسة إلى جميع من أنتجته في هذه العشرية نكتفي بنماذج مختارة، إذ جمعنا بين جيل الشباب ذوي النزعة التشاؤمية الذين تميزت بهم هذه الفترة، و جيل السبعينات و الثمانيات الذين جمعوا في رواياتهم بين الخطاب الإيديولوجي و جماليات الكتابة الروائية .

الفصل الثاني

تجليات المحنة في رواية ذاكرة الماء

1- الأيديولوجية

2- المثقف

3- العنف

أولاً: الإيديولوجية

أ/تعريف الإيديولوجية :

إن مصطلح الإيديولوجية كغيره من المصطلحات الأدبية التي يختلف النقاء حولها فقد مثلت هذه المصطلحات «إشكالية نقدية عصبية ،و معضلة من معضلات الخطاب النقدي العربي المعاصر ،و وموقعا معناها من أشكال المواقع التي يتبارى فيها النقاد والبؤرة التي تثير من التوتر و الجعجة ما تثيره بين الباحثين و الدارسين»¹

و لمعرفة دلالة المصطلح يجب التطرق إلى توجيهين مهمين هما :

الأول: «تشكل سلطة مهيمنة في طبيعة الحركة أو الفعل أو رد الفعل للأفراد الذين ينتمون إلى هذا المجتمع أو إلى شريحة منه»²

أي ترتبط كل الارتباط بما يتبناه مجموعة من الأفراد يقفون موقفا واحدا إزاء باقي شرائح المجتمع من أجل فرض أفكارهم والدفاع عن معتقداتهم .

الثاني : يشير بعض الباحثين إلى « أن الإيديولوجية هي المعرفة المشتركة»³

وهي بهذا تعبر عن أشخاص حملوا على عاتقهم مسؤولية تغيير أوضاعهم و السعي وراء تحقيق العدالة الاجتماعية و إنصاف الفئة المظلومة و التي تعاني التهميش و يذكر محمد كمال الخطيب تعريف الإيديولوجية في كتابه الرواية و الواقع يقول «يكاد ان يكون من المنقرف عليه تعريف الإيديولوجية بأنها نسق من أفكار و العادات و الأخلاق و المفهومات و القوانين و الفنون الخ تتشكل في مرحلة تاريخية محددة ،أو على قاعدة نمط الإنتاج .أو نمط حياة معين»⁴

1 د: يوسف و غليسي : إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد منشورات الاختلاف ،الجزائر ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،بيروت ،ط1 ،2008م، ص 11.

2 عادل صرعام: في السرد الروائي ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،بيروت ط1 ،2010م، ص66.

3 المرجع نفسه ص67.

4 محمد كمال الخطيب :الرواية و الواقع ،دار الحداثة ،ط1 ،1981 ،ص105.

أما عمار بلحسن فيري أن الإيديولوجية: «المعنى المعاش و الانعكاس الممارس لمختلف العلاقات التي يقيمها الإنسان مع سائر الناس و مع الطبيعة :فكل سلوك ونشاط بني البشر يحمل تصور للعالم و يتجسد في تقييم (كذا) و معايير وسلوكات و مواقف ،شأن الحياة و المجتمع والوجود ،إنها العنصر الذي يؤطر و ينتج و بفرز كلية الممارسات التاريخية للبشر سواء كانت في الأشكال الأدبية أو القانونية أو السياسية أو الاقتصادية الخ»¹

و بالعودة إلى البدايات الأولى للمصطلح و مع سرعة انتشار هذا المصطلح تغيير مفهومه مع عالم الاجتماع كارل ماركس حيث عرف الايديولوجية على أنها :«مجموعة منظمة من الأفكار تشكل رؤية متماسكة و طريقة لرؤية القضايا التي تتعلق بالأمور اليومية أو تتعلق بمناحي فلسفية معينة سياسية خاصة ، أو قد تكون مجموعة من الأفكار التي تفر منها الطبيعية المهيمنة في المجتمع على باقي أفراد المجتمع»²

ب/تجليات الإيديولوجية في رواية ذاكرة الماء.لواسيني الأعرج.

إن الرواية الجزائرية ارتبطت بالخطاب الإيديولوجي مثلها مثل الرواية العربية التي واكبت التطورات الاجتماعية و السياسية و الثقافية في المجتمع العربي،و الأدب هو بالضرورة إنعكاس إيجابي لحركة الواقع للرواية فعندما تقرأ الناتج الروائي للعشرية الصعبة التي مرت بها الجزائر رغم تنوع مذاهبه واتجاهاته نجد أن القضايا السياسية تحتل مكانة بارزة في مضامين روايات تلك الفترة .

روايات رسمت الواقع و حولت أحداثه إلى أعمال فنية ترقى إلى مكانة عالية من خلال مسائل ووجهات نظر واقعية .

إن هذه العناية بتصوير الواقع نجده عند واسيني الأعرج فقد حاول في كتاباته الروائية رسم خط تاريخي للتطور الايديولوجي في الجزائر فانتقل من تصور مشكلات ما

1 حسن خمري :فضاء المتخيل ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،ط 1 ،2002،ص41.

2 محمد سيلا :عبد السلام بنعبد العالي ،الإيديولوجية، دار توبقال للنشر، لدار البيضاء ،ط2، 2006،ص 59 .

بعد الاستقلال و إدانة أساليب القهر السياسي الذي سيطر على الحياة السياسية و يحد من حرية الإنسان و يعتدي على حقوقه و يمنعه من تناول أمور مجتمعه ،فتكون رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج من بين الروايات التي لامست الواقع المرير بالجزائر و على حد قول الكاتب «أن هذا العمل «كتب» داخل اليأس و الظلمة بالجزائر و مدن أخرى على مدار سنتين من الخوف و الفجيرة بدءا من شتاء 1993م، أي منذ ذلك اليوم الممطر جدا ،العالق في الحلق بغصة الموت و الذي لم تستطيع الذاكرة لاهضمه ولامحوه بين دهاليزها

ورمادها ،و أنهى بالجزائر في سنة 1995م، ذات يوم شتوي عاصف على واجهة بحر خال لم يكن به إلا أنا و امرأة ،من رخام و نورس مجنون كان يبحث عن سمكة مستحيلة ضاعت داخل موجة جبلية»¹

والإيديولوجية التي تتسم بها رواية الأزمة تكاد تختلف من رواية تلك التي تميزت بها الرواية عند واسيني الأعرج و هذه الإيديولوجية التي حافظ عليها واسيني الأعرج في روايته التي عالج فيها الأزمة الجزائرية على وجه الخصوص الرواية التي يتناولها موضوع بحثنا رواية ذاكرة الماء، فقد ظل واسيني الأعرج محافظا على إيديولوجيته ،هذه الأخيرة التي جاءت ممثلة في شخصية الشاعر ،الصحفي ،الفنان ،والأستاذ الجامعي الذي يرفض السلطة الحاكمة فالمعاناة تعكس شعورهم بتقصير الدولة اتجاه المسؤوليات التي يجب أن يتبناها فالمواطن من «إفلاس لإفلاس و الكارثة ماتزال القدام أمام غلاء المعيشة F.N.I تهميش المواطن ،نار الحياة ونار الإرهاب والدولة لم تعد تساعد أحدا ،ببساطة مثلا كان بإمكانها أن تخفف من عبء أسعار الكتاب .أن تساعدنا على النهوض و ليس على قتلنا و نحن مازلنا في بداية الطريق»² فيعبر على وجهته الإيديولوجية غير المساندة للتطرف الإسلامي الذي يحاول إيهام الشعب بالإيديولوجية الإسلامية التي جاءوا بها و.

1 واسيني الأعرج :ذاكرة الماء ،ورد للطباعة و النشر و التوزيع ،سوريا ،دمشق ط4، 2008 ،ص 9.

2 الرواية ص253.

هي في الحقيقة أبعد ما يكون عن الإسلام فهي فقط ترمي إلى خدمة مصالحهم العامة من أجل الوصول إلى الأهداف الخاصة ألا وهي الحكم و السلطة .

فيقول واسيني الأعرج « أتخيل لو أني كنت مؤمنا ،سأفقد حتما كل إيماني أمام أشخاص مثل هذا الرجل الذي لا يعرف شيئا آخر سوى القتل و الالتصاق بكلامه حتى و لو كان ما يقوله جهلا بالدين نفسه.ياخي أتركوا الله الله ،و الدنيا للدنيا و الناس للناس .تمتصها في خاطري رغم أني خلت نفسي أقولها جهرا ،لكن وسط عالم مقلوب مثل هذا هل يستطيع صراخي أن يصل؟¹»

تناول واسيني الأعرج في رواياته ورواية ذاكرة الماء على وجه الخصوص أن يقرأ المجتمع الجزائري في ظل التحولات التي ميزته في هذه المرحلة الحرجة ،و تكشف الواقع محاولة تفسير التصدعات التي تهز يوميا خاصة من الناحية السياسية .

يقول واسيني الأعرج عن العم إسماعيل«نتحدث عن كل شيء . عن الإضرابات التي صارت مسألة يومية ،ابتذلت حتى الإضرابات نفسها ،عن ظروف العمل ،عن الوضع السياسي للبلاد²» ويدخل في حوار مع العم إسماعيل .

-«البلاد في أزمة خانقة الاف . إي .مي .F.M.L. على الأبواب تدق نواقيس التوجيع إذا طالبنا بحقنا قال لنا المسئولون أن وضعية البلاد صعبة .و إذا تحركنا صرنا من صناع الفتنة و تخريب الوطن

-أوف ياعمي واش قادرين يديروا .عجز كلي في التسيير » Ce sont des «mediocres لايملكون شيئا يحضونه للآخرين³»

1 :الرواية ص 287.

2 :الرواية ص63.

3 :الرواية ص 63 .

هذه السياسية التي تزداد تأزما في ظل الإيديولوجية التي تبنتها السلطة و الحزب الإسلامي و آثارها على الإنسان الجزائري .الذي أعان اللأمن .فطرح موضوع الإرهاب و العنف بأشكال عديدة كالقتل و السرقة و الاغتصاب .

-و عليه أن هذا الكلام يؤكد أن للرواية دور قائم على نقل صورة الصراع بين فئات و طبقات المجتمع و أفضلية فئة على أخرى من منظور الأفراد حسب الإيديولوجية التي يؤمن بها .فالسلطة تحاول القضاء على الإسلاميين و مواجهتهم و إعاقة حركاتهم و شل رغباتهم ،فها هو ذا بطل رواية ذاكرة الماء الأستاذ الجامعي الذي يذكر في الرواية أنه اشترى بندقية صيد لتكون وسيلة يدافع بها عن نفسه يقول «وصلتني رسالة من وزارة الداخلية ،تحت كل مالكي البندقيات على تسليمها إلى الدولة لأن وجودها في البيوت يعرض أصحابها للموت من طرف القتلة و الإرهابيين»¹

ويعمل الإسلامويين من جهة أخرى على تكفيرها والنزج بها في زمرة الفساد و الكفرأيتها «أيها الشيوعيون ستذبحون حتى ولو تشبثتم بأفكار الكعبة قل إن الارهاب من أمر ربي»²

كما نرى عدوانية الكاتب لعنصر الدين في الرواية و هو يرى أن الدين نوع من التخلف ولايرى مبررا لوجوده ،و بهذا المفهوم القاصر للدين يؤسس الكاتب إيديولوجيته الخاصة به ،و التي تحرك جميع الشخصيات الروائية فالدين هو السبب في فساد جميع الأنظمة ،و هو من قاد البلاد إلى بؤرة التوتر و الضياع ،كما نلمس ذلك في رواية ذاكرة الماء .

1 الرواية ص 76 .

2 الرواية ص 49.

إن عدوانية الكاتب لعنصر الدين جاءت في الرواية فهو يرى أن الدين نوع من التخلف ولا يرى مبررا لوجوده.

«ألا تعرف؟ الإمام قال عنها مسيحية.

-و من بعد! هذا شغلها .

-كيفاش ومن بعد ؟قلت لك مسيحية ؟كافرة .

-هذا أمر يخصها مثلما أنت مسلم ،والآخر يهوديو.....

-حشاك .كي تقول يهودي ،قل حشاك .

-يارجل أنت مسلم وإلا طاغية ؟ اليهودية والمسيحية ،كلها أديان سماوية.»¹

وبهذا المفهوم القاصر للدين يؤسس الكاتب إيديولوجيته الخاصة به و التي تحرك جميع شخصيات الرواية ،فيقول عن حديثه مع صاحب التاكسي :«شعرت بنفسي مثل المجنون ،أدخل حوارا ،هو أصلا ليس حوارا .شيء آخر .دورة مغلقة .لاتتفتح إلا لتتعلق على نفسها من جديد .هو لايسمعني و أنا لا أستطيع فهمه على الإطلاق فلجهل إذا امتزج باليقين أصبح قنبلة ذرية في يد رجل أعمى القلب و الذاكرة .»²

و عليه قد سعت الرواية إلى خلق إرادة قوية و تغيير جذري و رفض اهانة الإنسان و عبوديته ،فإن روايات الأزمة ككل رغم حداتها ورغم مارميت به من تاريخ الجزائر المعاصر وكشفت مأساة هذا المجتمع و فضحت صور الإرهاب والظلم السائد وسعت إلى حلم أفضل حتى و إن سادتها مسحة تشاؤمية مبررة من خلال إيديولوجيات أسفرت عن تعرية الواقع ومن يصنعونه من سياسيين و إسلاميين رغم أن الكاتب لا يعكس الواقع ولا يكتب الإيديولوجية و إنما يقوم بتحسين القيم و الأفكار التي يؤمن بها ،كي ينطق بها في أشكال سردية ،ولا يمكن للأديب أن يخفي إيديولوجيته أوالموقف الذي ينتصرله وان حاول جاهدا ،اذ من المؤكد أن تفضحه البنيات الفنية ،قبل أيصرح بموقفه

1 الرواية ص 281..

2 الرواية ص 286.

من الحياة و المجتمع ،فالرواية أكثرالفنون الأدبية انفتاحا على المجتمع نظرا لطبيعتها الراصدة .التي تقدم وعيا خاصا للحياة في لحظة من اللحظات ماضيها أو حاضرها.

ثانيا : المثقف

-**مفهومه** :إن مصطلح المثقف من بين المصطلحات التي تعددت تعاريفها و مفاهيمها و كثرت النقاشات حولها ،و تعددت و جهات النظر فيها .الكل يحاول إعطاء تعريفا شامل لمصطلح المثقف . و عليه قد ارتبط مصطلح المثقف بالمفكر الايطالي الماركسي (انطونيو غرامشي)حيث يربط دوره بالنشاط الفكري الذي يقوم بالانسان شرط أن يكون هادفا و خادما للمجتمع «فكل من يعمل اليوم في حقل مرتبط بانتاج المعرفة أو نشرها هو مثقف حسب مفهوم غرامشي»¹

فالمثقف حسب غرامشي هو كل فرد يخدم بفكره المجتمع محاولا النهوض به و خدمته و خدمة مصالحه و تحقيق أهدافه ،فيمثل فئات المجتمع و يدافع عنها .فيقول غرامشي « أن المثقف وهب الملكة عقلية لتوضيح رسالة أو وجهة نظر ،أو موقف أو فلسفة ،أو رأي .أو تجسيد أي من هذه أو تباينها بألفاظ واضحة للجمهور »² و يقول غرامشي أيضا في تعريفه المثقف أن المثقف «كل من يمارس عملا تربويا أخلاقيا»³ و من المؤكد أن مصطلح المثقف قد تغير من فيلسوف لآخر و من مفكر لآخر و باختلاف الزمان من عصر لغيره فيعتقد بارسونز أن المثقف هو الشخص المتخصص في أمور الثقافة و يضع اعتباراتها فوق الاعتبارات اليومية المعتادة بينما يرى لويس فويير «أن المثقف هو المتعلم من الطبقة الوسطى الذي يختلف عن يعمل بالصناعة و التجارة من الطبقة العليا و الطبقة الدنيا»⁴ كما تجد الفيلسوف الفرنسي "جان بول سارتر" الذي

1 ادوارد سعيد :صورة المثقف ،ترجمة غسان غصن ،دار النهار للنهار للنشر ،بيروت ،1996،ص 26.

2 المرجع نفسه ص28.

3 عمار بلحسن : الأدب و الإيديولوجية ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984،ص52 .

4 مصطفى مرتاض علي محمد :المثقف و السلطة دراسة تحليلية لوضع المثقف المصري في الفترة

1995.1970،دار فياء للطباعة و النشر و التوزيع ،القاهرة ،ط1 ، 1998،ص 25

يعرف المثقف على أنه «ذلك الإنسان الذي يدرك و يعي التعارض القائم فيه و في المجتمع بين البحث عن الحقيقة العملية» [] و بين الإيديولوجية السائدة الإيديولوجية السائدة»¹

و أعطى سارتر مثلاً لتوضيح مفهوم المثقف بقوله : «إن صفة المثقف» لا تطلق على علماء يعملون في حقل انشطار الذرة لتطوير أسلحة العرب و تحسينها : فهم محض علماء لا أكثر لا أقل و لكن ماذا ماشاب هؤلاء أنفسهم الذعر لما تتطوي عليه الأسلحة التي تجتمع بفضل جهودهم و أبحاثهم من طاقة تدميرية فاجتمعوا ووقعوا بيانا لتحذير الرأي العام من استخدام القنبلة الذرية ،عدو من فورهم مثقفين»²

فهذا المثال جعل معيار ووصف المثقف بهذه الصفة هو الوعي و الدفاع عن القيم و المبادئ الإنسانية أما بالنسبة للمفكرين و الباحثين الجزائريين أيضا حاولوا ضبط مصطلح المثقف ،حيث يعرفه علي أحمد مجدي حجازي «ذلك الإنسان الواعي و الملتزم بقضايا أمته ،و لذلك يعتبر المثقف مثقفا حقا إلا إذا اقترب من روح عصره ،و من هموم طبقته و ثقافة مجتمعه ،و بعبارة أخرى يكون المثقف مثقفا بقدر ما يستطيع الصمود أمام النخبات المسيطرة في الخارج و الداخل و بقدر ما يمكنه الالتزام بالمحافظة على أصالة تراثه»³

و يرى عادل عبد الله أن المثقف : «مصطلح يطلق على أفراد المجتمع لجهة حيازته على مجموعة من الصفات سيمتد وجودها في -ذاته - من خلال مصدرين ،مصدر جماعي خارجي بالنسبة له ،هو ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه بكل معطياته التاريخية و الحضارية و أساليب تفكيره و سلوكه و مصدر فردي داخلي ،هو القدرات

1 جان بول سارتر :دفاع عن المثقفين :تر :جورج طرابشي :منشورات دار الأدب، بيروت ،ط 1،1973،ص33.

2 جان بول سارتر :دفاع عن المثقفين :تر :جورج طرابشي :منشورات دار الأدب، بيروت ،ط 1،1973،ص33.

3 الطاهر لبيب و آخرون :الثقافة و المثقف في الوطن العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية ،الطبعة الثانية

،2002،ص53.

الذهنية و القابليات النفسية التي يعمل على تطويرها في ذاته «¹ وعليه أن المثقف هو كل فاعل إيجابي يخدم المجتمع و يحمل على عاتقه مسؤولية تناول قضايا المجتمع .

ب/صورة المثقف من خلال رواية ذاكرة الماء .

إن المثقف في ذاكرة الماء تعرض في ظل الإرهاب لمختلف أساليب العنف و القمع الفكري و التعذيب و القتل ، وهذا أمر عانت منه فئة المثقفين لا سيما رجال الصحافة و أساتذة الجامعات و الأطباء و رجال الفن و المسرح و فالمعاناة الفردية للشخص المثقف جاءت على درجة من الأهمية لا تقل عن معاناة الوطن ،فهذه الرواية رصدت قمع حرته و مصادره كتاباته و إسكات صوته و عزله عن أي مشاركة حقيقية في مجتمعه و استهداف أيدي الإرهاب له .

هذا المثقف المعاصر في بيته-نتيجة ذلك -يظهر لعدم التصريح بحقيقة عمله وظيفته و هذا ما نلمسه في ذاكرة الماء
-«واش نخدم يخو؟

كدت أقول له :أستاذنا جامعيًا ،و لكن عيني هذا الرجل لم تورثا لدي أية راحة و أي اطمئنان .الغريب أن رد فعلي دائما في مثل هذه الحالات سيتعصي علي ،لأنني أشعر كأنني أستجيب لحالة الرعب التي يريد القتل إشاعتها في البلاد .

-معلم في مدرسة ابتدائية في الشلف «²

-قد ربطن الرواية بين حالة العنف التي يمر بها الوطن و بين الحالة المأساوية للمثقف فتربطهما بحبل واحد لايفك عن الألم و الحزن الفظيع «إنهم يبيعون كل شيء حتى الحق الأدنى للتنفس «¹

1 عادل عبد الله : المثقف السياسي ،بين تصفية السلطة و حاجة الواقع ،دار القرابي ، بيروت ،لبنان الطبعة 1، 2008 ،ص 119.

2 الرواية ص 283.

فقد رأينا معاناة الصحفية نادية التي سلبت حتى الحق في حرية التعبير تقول «شاطرون فقط في متابعة مدراء الجرائد عن التجاوزات التي يعلنون عنها .و يطلقون سراح القتلة و المجرمين»² و عليه فالمثقف تعرض عليه قوانين ليس له الحق في تخطيها وبهذا يكون مقيدا قدرته على رسم الصورة التي يمكن من خلالها التعبير عن رأيه بكل حرية تقول الصحفية نادية و التي تمثل شخصية من شخصيات مثقفة التي تعاني من التهميش و القمع . «من ذلك يوم أغتيل الكاتب الطاهر جاوت ،قلت المستقصد ليس الكاتب باللغة الفرنسية ،و لكن العقل الحر و المناهض ،و اللغة و اللغة ليست إلا ثانوية . أول من صادرنى ،مدير جريدتي و أقام لي محاكمة ،لأصبح بعدها في نظرة حركية.....»³

و عليه حاولت رواية ذاكرة الماء ،معالجة قضية استهداف المثقف بوصفه يعيش قمعاً متعددًا بتعدد أسبابه و اختلاف أساليبه تقول الصحفية نادية في ذاكرة الماء « شفت ! سودوا الدنيا في أعيننا،مع أننا البارحة فقط كنا ممثلين بالحياة أي جحيم هذا ؟ «⁴ فالمثقف هذا تحت سلطة القمع كنفى العقل و الوعي الفكري و نفي للحريات الفردية يحاول الصمود و البقاء في وجه الخراب «عندما تقف أمام قاتلك الأحسن أن لا تصمت لأنه سيقنتك .«علينا أن نواجهه بعينين صافيتين .نحن الآن نقف أمامه .على الأقل نفضحه .الموت كائنة و تكون «⁵ فالنظام يؤمن بفاعلية المثقف باعتباره يمتلك وعيا بالواقع و بالتاريخ يمكنه من سير المجتمع و تنويره عبر مراجعة التاريخ والتأمل في الحاضر بروح فلسفة نقدية ،غير أن المثقف بهذا التصور لا يرضى النظام الذي لا يسمح لأي أحد خارج دائرة نظامه لأنه في هذه الحالة يمثل تهديدا له ،و يجب التخلص منه

1 الرواية ص 305

2 الرواية ص 270

3 الرواية ص 270

4 الرواية ص 272

5 الرواية ص 187

بمختلف الطرق لم «بعد شيء يخيف حقيقة سوى موت الغفلة، قتلة الظهر، الخديعة، الطعنة التي رسمت بقعتها على ظهري حتى صرت أتحسها يوميا»¹ و يجدر بنا إلى أن نشير إلى أغلب الشخصيات المثقفة في النص المدروس "ذاكرة الماء" لا تتمنى لأي من الإيديولوجيتين و لها فكر مستقل عن كلامها و يظهر هذا الحوار في الأستاذ الجامعي مع سائق التاكسي ذا الانتماء الإيديولوجي الإسلامي .

-«واش ياخو ما عجبكش كلامي الفاضح؟

-حاشا يا خو ،استمعت لك واستمعت لي .

-سكاتك هذا معجبنيش منعرفش إذا كنت معي و لامعاهم

-أنا مع روعي . مليح؟»²

و ذلك أن الأيادي التي تحكم و تنقص السلطة هي جهة *الموضوعة في الواجهة بل تعمل فقط باسم النظام تحاول نهب خيرات البلاد واستنزافها ،و لكن رغم هذه الصعوبات نجد أن المثقف حاول جهة الحفاظ على المعالم التي تمثله ورسوموا خطوطا ووضعوا لمستهم في الحفاظ عليها وهذه الفكرة التي تصور مشاهدا من خلال قول الراوي «لم يبقى في شارع الجامعة إلا الجامعة فكر الساهرون على راحة هذا البلد ،في السنوات الماضية في تفرغها و تحويلها إلى مقر للأمن المركزي و طرد الجامعة باتجاه فراغ لم يكن معروفا ،و لولا اعتصامات الطلبة و الأساتذة لذهبت مع الريح»³

و من هذا التاريخ الجزائري الذي ذاق مرارة الإجمام فرض على المثقف الجزائري الاسباق ، و تغييب دوره الفعال في الحركة الفكرية العملية الإبداعية الفنية حيث صار المثقف الجزائري بعيد النظر في أفكاره و آرائه وأصبحت أعماله الفنية

تمثل خطر على حياته فيقول الراوي في حوار مع أحمد الذي كان بصدد طباعة روايته

1 الرواية ص 326

2 الرواية ص 58.

3 الرواية ص 54

-«أنت تعيد علي شخصية روايتك .آخرها قليلا يرحم والديك.الدنيا لن تقوم إذا لم تنشر ؟

-و إذا نشرت ماذا سيتغير في هذه الدنيا ؟

-بكل بساطة سنقتل .

-وتعتقد أن إذا لم أنشرها سأنجر من الاغتيال .

-على الأقل لا تعجل بموتك .¹

فالأديب أصبح مجرما في أعماله الروائية ،كما أن المثقفين و المفكرين كل منهما مرفوض أمام الأفكار السياسية و أنماط تسييرها .

يتيه المثقف و يرتبك وتضيع معالم وجوده وسط خراب الوطن و تختلط عليه المفاهيم و

يضيع انتمائه أمام هذا الخراب الذي مس البلاد يقول الراوي

«نحتاج إلى زمن طويل لنعرف أن الصورة الدنيا ليست هي هذه الدنيا مريضة ،نبحث

عن صورة أخرى لها لا توفرها لنا الآن،إلا الكتابة و النحت والرسم»²

كل هذه الفنون التي تواسي صاحبها و تعطيه أمل العيش و المقاومة في زمن صعب

للغاية عانت منه الجزائر طوال عشرة سنين من الألم و الحرمان ،كتب قلم الأوجاع في

ذاكرة الماء «كل شيء صار بعيدا في هذه المدينة إلا الموت .لقد دخل الذاكرة ،و كأس

القهوة و أعماق الحبر الذي نكتب به أشواقنا و أحزاننا و أفراحنا الممنوعة .»³

كما لم تغفل الرواية عن تصوير الممارسات ضد المثقف فقد أصبح المثقف يعيش كل ما

يعيشه الوطن من مشاكل أزمت و ظروف صعبة .و هذا ما نلمسه في هذا الحوار الذي

يحمل في ثناياه الواقع المرير بالجزائر «قلت لك ذات مرة بيأس ،تصوري ! لقد خسرت

الحلم بالألوان .لم أعد أرى إلا الأبيض و الأسود .ضحكت طويلا .

1 الرواية ص 254 . 255

2:الرواية ص 303.

3 الرواية ص 291.

قلت: أما أنا فلم أعد أرى شيئاً و عندما أرى لا أعرف مطلقاً ما رأيت ،يببدو أنني أعيش بتوقيت الوطن»¹

إن عرض حال المثقف و مأساته ،و تعرضه لشتى أنواع العنف و القهر من شتى الاتجاهات ،في الرواية التي بين أيدينا

جعلها من أكثر الروايات واقعية و الأكثر التصاق بالواقع ،فما عسى الكاتب أن يفعل أمام أحداث مهولة ووقائع مروعة أمام بطون تبقر ورؤوس تقطيع و أمهات تكلي و أطفال يتامى و مثقف ضاعت حقوقه و اغتيلت أفكاره ،و كبلت حريته ،في ظل غياب الأمن و الأمان يقول الراوي «أن أقول صراحة ما أحسه ،الأمن شعور داخلي ،أم أن يغمرنا حضوره أو يؤلمناغيابه ،هذه البلاد في حضرة وحش ،عندما يفتح فاه سيأكل الأخضر و اليابس»² .

و يبقى المثقف يمثل السلام فجعل منه السلاح الوحيد الذي يدافع به عن حقوقه و يرسم من خلاله معاناة مجتمعه و آلام أبناء وطنه فيقول واسيني الأعرج :

«من الأفضل أن تعطي المثل .نحن مثقفة ولسنا قتلة»³ على الرغم كل ما يواجهه من صعوبات يقول واسيني في حوار مع فاطمة إحدى شخصيات الرواية «المثقف في هذا البلاد بهدلوه ،جرموه ،عزلوه ،قتلوه ،و اليوم يجهزون

عليه ،هو أضعف حلقة في عملية التدمير هذه ،يقتل و يذبح مثل الخروف ولا يمتلك وسيلة واحدة للدفاع عن نفسه»⁴ فنلاحظ وجود فعل الموت في الرواية بداية من الصفحات الأولى و هذا ما يعكس الحالة الاجتماعية المزرية و الدمار و الموجود تلك الفترة و الذي عان منه المثقف على وجه الخصوص للدور الذي يقوم به على من رصد

1 الرواية ص 233.

2 الرواية ص 75

3 الرواية ص76

4 الرواية ص 198-199

الواقع و محاولة تغيير الفكر و نشر الوعي الاجتماعي «يهيمن فعل الموت في بعض الروايات من البداية حيث يوقفنا السارد على رائحة الموت و الدم من خلال عرض حالة المدينة أو الناس المهزومين التي يحدد مصدرها أولاً يحدد هدفها إلا من خلال تعرفنا على نتائج أفعال كانت سبب تدهور الأوضاع فيبدو الحكى حدث كلاميا مشحونا بآثار تلك الانهزامات في الواقع و الداخل النفوس بدرجات متفاوتة»¹

فيقول واسيني في الرواية المدروسة «غدا يوم الثلاثاء -اليوم الذي يخرج فيه القتلة عادة سكاكينهم لذبح المتقين»²

و رغم معاناة المنقف طيلة عشرية كاملة من الألم و الحزن و القتل و التتكيل ظهرت أعمال أدبية لها سيمات جديدة ميزتها عن غيرها وواسيني و أعماله الروائية مثال على ذلك ،زاد في ثراء الأدب الجزائري.

ثالثا : مظاهر العنف في رواية ذاكرة الماء «لواسيني الأعرج»

-مامن شك أن موضوع العنف من الموضوعات الرئيسية و المهيمنة على رواية الأزمة فالجزائر التي عرفت العنف في الواقع خلال عشرية كاملة و سميت بالعشرية السوداء ،سنين الجمر و غيرها من التسميات التي حملت معنى العنف و المأساة ما كانت رواية ذاكرة الماء لتغفل هذا الموضوع في منتهى السردى ،فقد جسدت هي الأخرى مشاهد العنف سواء كان ماديا حدث فعلا لشخصية فاعله في الرواية أو قد يكون معنويا تتخيله شخصية ما من شخصيات الرواية نتيجة الإحساس المفرط بالرعب كما تقرأ لدى واسيني الأعرج هاه ! تذكرت المشهد الأخير من الكابوس الذي غاب عني.

1 أمانة بلعلى :المتخيل و السلطة في الرواية الجزائرية(من المتماثل إلى المتخلف)دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع 2006،ص79

2 الرواية، ص 50

«الساحة كانت ملاءى بالناس الذين يرتدون أقمصه بيضاء، فضفاضة حول جسد ممزق كانوا يرحمونهم عن قرب بحجارة كبيرة و يرشقونه بالسكاكين شظايا بالمخ و اللحم ،تلتصق بالقضبان الحديدية الصدئة التي كانت في أيديهم. كنت أرى ذلك الرجل ،أو بقاياها من شرفة الطابق الخامس حيث كنت أقيم قبل أن انتقل نحو هذا البيت الذي صار يشبه قبرا يسكن به رجل يبدو أنه ما يزال على قيد الحياة .كانت الجثة الممزقة تشبهني»¹

-تكاد هذه الهواجس التي افزعت واسيني أن تكون فلسفة في الموت و الحياة ،ماذا يعني أن يقتل المرء دون أن يموت .أليس القتل و الموت واحد يبدوا أن أكثر راحة و أرحم بكثير من الذبح الذي فيه اغتصاب و إهانة للروح قبل الجسد،بطريقة ما تدرك قيمة الانسان الذي فقد انسانيته التي تلاشت على أيدي هؤلاء الأشرار المفترسين ،و تصور واسيني في ذاكرة الماء مشهد مقتل الطالب كمال أمزال .«أغتيل البارحة في الحي الجامعيبالجزائر العاصمة ،الطالب كمال أمزال بضربة سيف على رأسه ،أخذ على أثرها المستشفى ،و هناك توفي»²

إن مشهدا مرعبا كهذا يعود بنا إلى عصر السحيفة الإنسانية أيام .

كان الإنسان يعيش عيشة الوحوش ،ورغم ذلك لامناص من تصديق ما يحدث و ما يروى . لقد هيمنت أجواء الرعب و تمكنت من النفوس ،حتى بانث أشبه بمرض نفسي أو وسواس قهري على غرار ما نجد في رواية ذاكرة الماء ، فالرواية من فرط رعبه صار موضوع قتله ملازما يقضة و مناما .

«رأيت أشياد كثيرة في الحلم ،أشياء محزنة :داستتي سيارة فمزقتني ،و لكني في النهاية ،استطعت أن أقوم مثل طفل متهور بعد أن جمعت نفسي ،قطعة قطعة ثم قمت

1 الرواية ص 19.

2 الرواية ص 61.

واستطعت أن أقف على قدمي ، بالرغم من الصعوبات و الاستحالات . رأيت منشارا يقطعني مثل قطعة خشب ، و أنا أضحك بصوت عالي و أفهقه مثل المجنون ¹ و على غرار ماتاولنا في المبحث السابق حول الايديولوجية و التي تمثلت في الغالب على إيديولوجيتين و توضح مدى انعكاس هذا العنف أ/عنف السلطة :

تطرح الرواية الجزائرية بشكل عام و الرواية التي تناولناها في بحثنا هذا بشكل خاص مسألة العنف و نشير إشارة واضحة و صريحة إلى تسلط السلطة و ممارستها القهرية هذه الأخيرة التي نلمسها في معاناة الفنان يوسف :يوسف بعدما سجن طويلا بعد انقلاب 1965م بتهمة التحريض و الكتابة ضد السلطة العسكرية كان متعبا،في كل مرة يصاب بنوبة تطول معه و تقصر

«مرة أخذ من أحد بارات المدينة بتهمة الجنون و التهديد بالقتل للاخرين ،بقي أسبوعا ثم خرج .في المرة الثانية اتهموه بنفس التهمة ،في المرة الثالثة .

سحب من بيته بعد حل اتحاد الطلبة الجزائريين وادخل في المستشفى»² إضافة إلى ذلك أن رواية ذاكرة الماء لم تغري السلطة و تكشف حقيقتها فقط .إنما استطاعت أن تبين الخوف الذي أصابها الأمر غير معقد لهذه الدرجة .«بلادنا غنية و هناك مافية بلعت كل شيء و ترفض أن يذهب كل شيء من يديها»³ ،و كشفت الرواية التناقضات و الصراعات الداخلية التي مست السلطة و عرقلت سيرها .فقد ذكر مقتل محمد بوضياف «عندما جيء ببوضياف ،عرفوا أنه لن يبقى كثيرا ،قلت لأولادي هذا مسكين نيتة ،عمره محدود ،و سيودع هذه الدنيا مبكرا و سيستقيل بسرعة»⁴ و ما ذكر إلا دليل

1 الرواية ص16-17.

2 الرواية ص293.

3 الرواية ص62.

4 الرواية ص 64 .

على انشاقهم و اختلافهم ، و على أن هناك سلطة أقوى تسير البلاد و استطاعت التخلص من الذين يعيقون طريقها العصابة التي تسير البلاد في السر و العن ، لن تسلم بسهولة في مصالحها لعبوا على الخطابات الدينية هكذا حتى يندثروا و يندثر معهم وطن بكامله . و من يستغني عن بقرة حلوب تقدر يوميا آلاف الدولارات؟¹

و مثلما صورت لنا الرواية واقع السلطة و حقيقتها واضطهادها هما أرهق كامل الجزائري ، و ما عبد ربو الذي يمثل إحدى شخصيات الرواية إلا مثالا على معاناة المواطن الجزائري . و نتيجة هذا الخراب الذي مس النظام «فعبد ربه كان معلما بسيطا ، لم يتخط أبدا عقبة الفقر رغم كل ما بذله . درس في القرية و في المدينة بدون جدوى ثم ترك الجبهة و ترك لحيته تتدلى و صار من يومها لا هم له إلا دولة إسلامية و يصير أنها الحل الوحيد و الأوحده ضد خونة البلاد»² و لقد كانت السلطة تمارس قهرها و ظلمها من خلال وسائلها الايديولوجية المختلفة مثل ما حدث مع يوسف الفنان الذي سبق ذكره فيقول يوسف صارت البلاد و السلطة شيئا واحدا ، عندما تتخذ موقفا ممارسا من النظام تصبح بالضرورة معاديا للشعب و للبلاد «يصرخ يوسف . لست معاديا لوطني ، ولكن للذين حولوا المشافي إلى محتشدات ، و القتل صناعة . و الموت مسألة ثانوية جدا . ضد الذين ورثو البلاد و كأنها ملكية خاصة واشتروها بالدينار الرمزي و عندما رفض الناس ، جلسوا في الظلمة و تحولوا إلى ما فيا»³

ثانيا عنف الإرهاب :

كما سبق الذكر أن الرواية التسعينية و ذاكرة الماء على وجه الخصوص سعت إلى تعرية الواقع و كشف ممارسات القمع و العنف الذي كان له حضورا طاغيا ، يحمل

1 الرواية ص 64 .

2 الرواية ص 65 .

3 الرواية ص 306 .

آثار الاستبداد و الظلم و التعصب و الإرهاب هذا الأخير الذي يتمثل في «استخدام اساليب مرهبة إرهابية للحكم أو لمقاومة الحكم»¹

«و الإرهاب الذي نحن بصدد الحديث عنه هو الإرهاب الديني ، و ربما كان واسيني الأعرج من أغزر الروائيين الجزائريين في كتابة سرود الإرهاب الديني .و هو الذي اکتوى بنار الإرهاب شأن كثيرين و كثيرات من رهط الثقافة و الابداع .»²

و قد جاءت الإشارة إلى ظاهرة العنف الإرهابي و عن أولئك الذين يسلطون عقابهم على أصحاب النيات الذين ينوون بأنك نويت فيحكمون على انسان حسب معتقداتهم على ما هو كائن و موجود ، هذا ما يظهر جليا في عبارات الرواي «تلمع في عيونهم علامات الانتصار -يرحم والديكم ماتدبحونيش قدام لولاد .و هل يرحمه القتلة الذين تلمع عيونهم فجأة تحت كثافة رغبة القتل و الخوف ها!! ها!! ها!! سنقطعك ، و ننزع عيونك و قلبك أمام الجميع قبل أن تذبك لدينا كل الوقت الكافي للتسلي يجسدك .أية بربرية؟»³

و مثل هذه المشاهد كثيرة في رواية ذاكرة الماء التي جسدت أعمال العنف و الإرهاب و قسوتهم «هكذا كان يقول يوسف دائما .فقد ركبت ذهنيا كل سيناريوهات الاغتيال و كيفية تفاديها»⁴ .

و من بين هذه المشاهد الإرهابية تشير إلى العنف الرمزي من تهديدات متواصلة بالقتل الذي ينتج عن الخوف و الهلع مثل ذلك الذي تعرض له الأستاذ الجامعي الشخصية البارزة في الرواية و الذي كان يتلقى تهديدات كثيرة بالقتل و هذا ما نلاحظه في بداية الرواية ذاكرة الماء «ثم بدأت الرسائل تتوالى و تتصاعد .من النصائح .إلى

1 نبييل سليمان :الرواية العربية و المجتمع المدني ،الدار العربية للعلوم ،بيروت ، ط 1 2010ص24.

2 المرجع نفسه ص 65-66.

3 الرواية ص 317.

4 الرواية ص 315.

التهديد المفتوح. المرة الوحيدة التي أخذت فيها التهديد بجدية هي عندما وصلتني رسالة أول ما أثارني فيها هو ختمها الكبير الذي لم يكن يوحي بأية طمأنينة. كانت الرسالة مكتوبة بشكل لم يترك لي فرصة للتأمل أو حتى التساؤل :

أيها الطواغية الصغار سترون أي منقلب تتقبلونالإنذار الأخير.....»¹

كما تشير الرواية إلى العنف المادي أيضا هذه المشاهد القاسية تناولها الروائي حين تصويره لمشهد مقتل الفنان يوسف «لست أدري هل ترجاهم قبل أن يذبحوه، لكن عندما رأيته لأول مرة قرأت توسلات غامضة في عمق عينيه الصافيتين. عندما خرجوا، لم أجد أي إمكانية للصراخ ذهبت إلى المكتبة مباشرة. كانت لوحة غويا ممزقة عن آخرها و موضوعة على جسدة. عندما رفعت اللوحة وجدت جسدا ممزقا بدون قلب و بدون رأس .»².

و من وجهة نظرنا الخاصة نستنتج أن النظام الفاسد و الإرهاب يمثلان وجهان لعملة واحدة، فكلاهما يريد الوصول إلى مصالح خاصة و كلاهما يحاول أن يفرض إيديولوجيته بكل قوة و بإتباع شتى الأساليب بعيدا عن ما يعينه المواطن البسيط الذي وجد نفسه بين نارين نار الإرهاب و نار السلطة .

1 الرواية ص 51.

2 الرواية ص 297.

إن الشكل الأكثر تجسيدا للعنف بخاصة في العصر الحالي هو الإرهاب هذه الظاهرة التي نشأت نتيجة الاضطراب السياسي في الجزائر قد انتشر على نطاق واسع خلال العشرية السوداء كشكل من أشكال العنف السياسي بعد فشل الانتخابات التي تولد عنها بداية تشكل العنف الداخلي في المجتمع الجزائري خلال أحداث أكتوبر 1988م ، و هذه الأعمال العنيفة الممارسة في المجتمع الجزائري ،إنما تعبير عن الاحتجاج و عن عدم قدرة النظام على تحقيق متطلبات الأفراد و تلبية حاجاتهم ،و أيضا اعتراضهم على نظام السلطة و استبدالها لرفضها التسليم بنتائج الانتخابات و عدم الاعتراف بأحقية الشعب و حرية اختياره .مما أدى إلى تصاعد التوتر و الاضطراب و تزايد حالات العنف ، التي أسهمت السلطة في تغذيته بشكل أو بآخر .و هياج الشعب ليدخل الجميع في دوامة من الصراع و سير الأمور نحو تأزم أكبر .

الختامة

الخاتمة :

بعد هذا التقصي و البحث في أدب المحنة و أعضاء رواية ذاكرة الماء لوسيني الأعرج كنموذج لدراستنا ، و قد حاولنا في هذه الدراسة تسلطي الضوء على مرحلة حرجة من تاريخ الجزائر المعاصر ألا وهي مرحلة العشرية السوداء التي دفعت الأدباء الجزائريين إلى الكتابة رغم الظروف المزرية ، و قد توصلنا في النهاية إلى جملة من النتائج تمثلت في مايلي :

-إنما نستخلصه أن الأزمة السياسية التي وصلت إليها الجزائر في فترة التسعينات كان تراكما لعدة أسباب نذكر منها :أن الجزائر حديثة العهد بالاستقلال ما جعل نظامها مشاء كما أن الانفتاح القابض المفاجئ على التعددية الحزبية بعد أن كانت تحت نظام حكم الحزب الواحد.

-مع أن الأزمة التي عصفت بالجزائر في التسعينات كان لها تأثيرا سلبيا على الصعيد السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي ، إلا أنها من الناحية الأدبية كانت * على ظهور أدب ذو طابع متميز عرف بأدب المحنة .

-رواية الأزمة هي انعكاس لمواقف الكاتب إزاء الوضع الذي ساد الفترة من الزمن منطلقا في أحكامه و مواقفه من مرجعية ثقافية و معرفية .

-إن الروائي واسيني الأعرج كانت له أعمال روائية في هذه الفترة ، و حاول من خلال كتاباته الغوص في أوجاع الجزائر و النهوض بالأدب الجزائري من بين هذه الأعمال روايته ذاكرة الماء التي اتخذت كنموذج في بحثنا .

- ذاكرة الماء من بين الروايات التي لامست الواقع الجزائري و عبرت عن معاناة المثقف ، و صورت العنف و الإرهاب و الإيديولوجيات المتصارعة .

الملاحق

التعريف بالكاتب واسيني الأعرج

واسيني الأعرج .مواليد 1954بتلمسان .جامعي وروائي .يشغل اليوم منصب أستاذ كرسي بجامعة الجزائر المركزية والسوربون بباريس .يعتبر أحد أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي .

على خلاف الجيل التأسيسي الذي سبقه ،تنتمي أعمال واسيني الذي يكتب باللغتين العربية و الفرنسية ،إلى المدرسة الجديدة التي تستقر على شكل واحد بل تبحث دائما عن سلبها التعبيرية بالعمل الجاد على اللغة وهز يقينياتها .فاللغة ليست معطى جاهزا و لكنها بحث دائم و مستمر .

إن قوة واسيني التجريبية التجديدية تجلت أكثر في روايته الكبيرة ،المبرمجة اليوم في العديد من الجامعات العالمية ،الليلة السابعة بعد الألف بجزائها :رمل المائة و المخطوطة الشرقية ، التي حاور فيها ألف ليلة و ليلة لا من موقع ترديد التاريخ و لكن من هاجس الرغبة في استرداد التقاليد السردية الضائعة .

-في سنة 1997اختيرت روايته حارسه الضلال (دون كيشوت في الجزائر)ضمن أفضل خمس روايات جزائرية صدرت بفرنسا .

-تحصل في سنة 2001على جائزة الرواية الجزائرية .

-اختير في سنة 2005كواحد من ستة روائيين عالميين لكتابة التاريخ العربي الحديث في إطار جائزة قطر العالمية الرواية .

-تحصل في سنة 2006على جائزة المكتبيين الكبرى .

-فاز في سنة 2007بجائزة الآداب الكبرى (الشيخ زايد) عن رواية :كتاب الأمير .

-ترجمت أعماله إلى العديد من اللغات الأجنبية من بينها:الفرنسية ،الألمانية ،الايطالية ،السويدية ،الانجليزية ،الدنماركية و الاسبانية .

ملخص الرواية

"ذاكرة الماء " هو عنوان رواية الأديب الجزائري "واسيني الأعرج " هذه الرواية أقرب إلى نص أدب طويل على شكل رواية و إذا و بعد الإشارة إلى الكاتب واسيني الأعرج في الصفحات الأولى ، طرح السؤال و هل للماء ذاكرة ؟

فيذكر في الإجابة اليأس والظلمة في الجزائر و التي كانت تكتب فيها هذه الرواية ، هذه الذاكرة المجروحة لجيل أصبح يفرض في صمت و ذنبه الوحيد أنه تعلم في زمن الظلمة و الرواية سرد لوقائع لفترة صعبة مرت بها الجزائر من 1993 إلى 1995 كتبت في جو من القسوة و الألم الداخلي و يمثل العمل ذاكرة جيل يموت في سكون و ذنبه الوحيد أنه تعلم أن لا بديل للنور سواه ،في زمن قاتم حاولوا فيه استئصال الذاكرة و طمس العيون، فالأديب يرى أن الكتابة هي السبيل في هذا الزمن ،و يتمنى أن يكتمل عمله قبل موته كتابة في القتلة فيقول «لا أريد أن اترك عملي في منتصفه» تتحدث الرواية عن أستاذ جامعي قرر البقاء داخل نيران الوطن و قيامات حرب الجزائر التي اشتعل حميمها قتلة متعطشون للدم ،رفضاً ترك الفاشية الدينية الرعوية لتصبح قدراً بلا مقاومة ، تاركا زوجته و ابنه في باريس ،رغم أن زوجته طالما كانت تلح عليه أن يخرج من الجزائر لان البقاء فيها أصبح بعد انتحارا فقد قتل أغلبية أصدقائه و ما تبقى حمل الحقائب و غادر البلاد ،إلا أنه بقي لديه أمل في الحياة داخل الوطن رغم كل شيء، و رغم أن البقاء فيها يعد انتحارا و الموت قد يأتي في أي لحظة من يد غادرة ،فأخذ يجعل من كلماته المقتولة وسيلة مثالية لتجاوز حالة انكسار حتمية غارقا في التفكير في عائلته و أولاده و ريمة التي ترفض رفضا قاطعا

الابتعاد عنه ،وإبدى رغبته في الخروج من هذا الحيز المشتعل ، يحن إلى العيش في مأمن لأنه يرى أن المنفى أكبر عقوبة تسلط على الإنسان .

و كانت البداية الأولى عندما أصبح التهديد يصله بكثرة إلى درجة العادة و هذا ما يقوم به القتل عادة للوصول إلى الهدف المنشود ،ليخبره مدير الأمن الحضري بأن عليه الرحيل لأن الحياة أصبحت في خطر و من هنا تبدأ معاناة الأستاذ الجامعي و هو يختبئ من مكان لآخر ،و هاهو ذا في بيت فاطمة ،صديقة العائلة هو وابنته ،

في ليلة يستعيد فيها للقيام بواجبه اليومي و الذهاب إلى جنازة صديقه يوسف الذي كان شاعرا ورساما وحقاء رائعا ،يسترجع في روايته قصاصات من ذاكرة مجروحة ، يحشد فيها تفاصيل كثيرة و حوارات غنية سكب فيها «واسيني الاعرج» طفولته و كلمات من أمه حتى قبل ميلاده و التي ذكرت له أن العرافة قالت لها قبل ميلاده بشهرين تصدقي و الا سيموت ابنك بالحديد فيرى واقعه نسج من قول العرافة ، في زمن شرد فيها المثقف و حطم الفنانين أمثال قصاصة من الذاكرة الملقب بجوني «محمد» الذي كان مولعا بالموسيقى و لشدة القسوة و سوء المعاملة رحل عن القرية و لم يعد أبدا منذ ثلاثين سنة و تعود به ذاكرة «الراوي» إلى زمن الاستقلال عندما كان طفلا ووالده الذي بقي على أمل أن يلقاه يوما رغم طول الزمن و صعوبة طفولته التي لم يكن للأقارب فيها سند له غير والدته وأخته ،كان يقاتل من أجل البقاء في زمن يولد داخل القسوة .

و بين هذه الذكريات و تلك تستوقفه خبر مكن المذيع الذي يرافقه رغم تنقلاته المختلفة» انه تعرف على القاتل للشاعر و الفنان يوسف الذي توفي قبل يومين».

و يسترجع مقتل العديد من المتعلمين أمثال الطالب كمال أمزال الذي قتل بضربة سيف على رأسه أردته قتيلا في الحي الجامعي ، ولا تلبث هذه الذاكرة المكسورة حتى ترحل به إلى الكثير من الحوارات و الأحداث إلى صعوبة الواقع الذي عاش فيه من الخوف و الرعب ،في زمن مرت فيه الجزائر بفترة صعبة عانت فيها ويلات الإرهاب و الخوف و الصراع الذي كان عميقا و لا يلعى ويلاتة الا المثقف و الرجل البسيط و السكان بينما هناك أيادي خفية تسلب البلاد خيراتها و ممتلكاتها و تترك الشعب مكتوف الأيدي لاسبيل له في الدفاع عن حقوقه فيقول نحن مثقفون و لسنا قتلة و سيمر في البحث بين هذه القصصات عن شيء ما في الذاكرة ،الأستاذ الجامعي و الذي عان من الخوف الذي كان يرافقه طوال هذه الفترة و حتى في قيامه بأعماله الاعتيادية ،طالما كان الخوف في كل مكان و الغدر قد يأتي في أية لحظة و رغم هذا يقوم بأعماله اليومية لكن بكل حذر و له الرغبة الشديدة في العيش ،و كان الصمت مطبق في زاوية ،إلا أنه يتحدى الواقع و يأبى إلا أن يكمل مهامه،و أيضا حضورا جنازة صديق يوسف و الذي يعني له الكثير ،و هو يتساءل في داخله هل سيعطيه القتلة مهلة ؟ و هل سيسعفه الحظ للقيام بهذا.

و يبدأ يومه بعد خروجه من حي البيار الى دوار ساحة الكندي و التي كتب على أحد جدرانها «ايها الكفرة،يد الجهاد ستطالبكم حتى و لو كنتم في حصن منيع أو يعلقكم بأستار الكعبة ، و قل إن الإرهاب من أمر ربي »

من هنا وصولا التي الجامعة هذا الحيز المليء بالشكوك ،فالمثقف كان مستهدفا بشكل صريح ،فكل من الأستاذ و الطالب مهدد في ذات الوقت فالجامعة أيضا لم تسلم من الإرهاب و العنف و القتل و الجرائم بأشكالها فالناس يموتون و الرجال يذبحون في حين كان هناك نوع آخر ممن يبحثون عن المناصب و المكانة و من الجامعة ينطلق الاستاذ في الجو الرهيب من الخوف فيتوغل من خلال ذاكرته في سوق الفلاح و يسترجع و جوده فيه فيصف معاناة الطبقة العادية من الشعب ،و الذي يعاني في سكون مطبق،فالشوارع مليئة بالأوساخ على حد وصفه و الناس يتقاتلون للحصول على شكاة سميد أو فرينة ،و الفقر الذي يعاني منه الشعب الجزائري و خيرات البلاد تتسرب بين أيدي خفية و تتصرف فيها أيادي مجهولة تماما و يبقى الشعب البسيط يعاني التهميش و الإقصاء ، و ها قد جاء الوقت لذهابه إلى مكتب البريد و رغم أن المسافة بين الجامعة و بينه ليست بعيدة ،و لكن نفسيا مسافة يحسب لها ألف حساب .

تتسرب إلى ذهنه العديد من التساؤلات فيتساءل ماذا سيحدث له بعد قليل ، وهل سيسعه الحظ ليضع الرسالة في مكتب البريد فقد يداهمه الموت في أية لحظة فالمثقف حالة خاصة و مستهدف بالدرجة الأولى ،و القتل لا يضيعون أي فرصة .

في القضاء عليه ،و الأستاذ مهدد في الكثير من المرات إذ فهو في حافة الطريق و لكنه مصر على استكمال أعماله و البقاء على قيد الحياة ،ووضع الرسالة لدى مكتب البريد بنفسه فيفعل ذلك و يخرج بسرعة فلا امن البلاد و الكل مشكوك في أمره فمن الطبيعي أن يكون العامل العادي قاتلا فهؤلاء الناس لديهم وظائف متعددة البعض مكشوف و مسالم و البعض الآخر مخفي ،قد يكون في النهار موظف بسيط و في الليل جزارا ، يوصف كل الوجوه التي يحقد عليها ،فالراوي هنا يصف الحالة المزرية التي وصلت إليها البلاد و العباد فصاحب الحق ظالم و أصبح الظالم صاحب الحق فلا تمييز بين الحق و الباطل و الظالم و المظلوم ،فيذكر في حديثه عكس

الكتب فكرة مصادرة الكتب الدينية و سحبها من الأسواق و يرى أن ذلك بدافع الجهل ، سحبوا حسب ما يرويه الإسلام و أصول الحكم ، دليل أن المسلم الحزين ، الحركات السياسية في الإسلام ، ابن رشد ،..... الخ

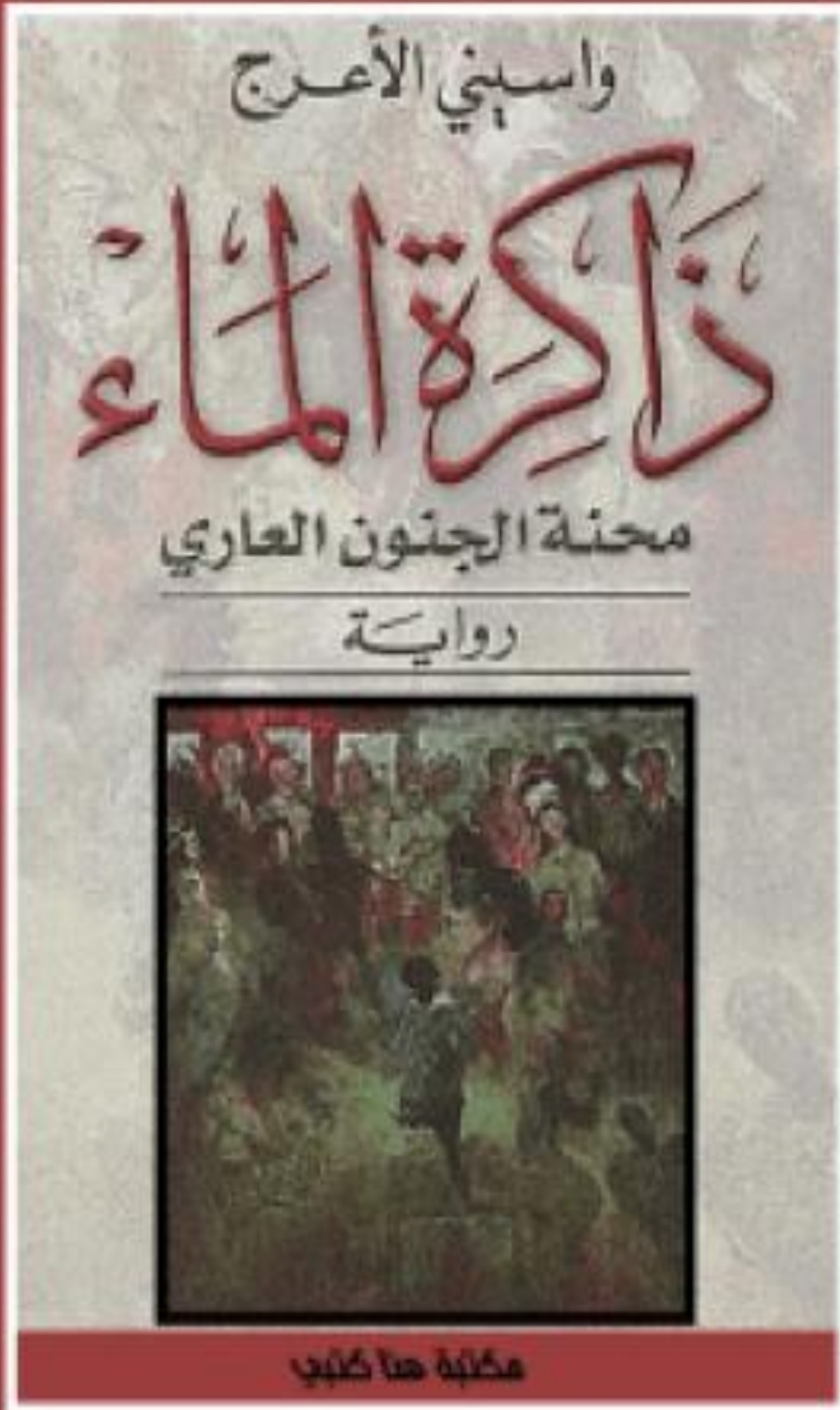
و كل هذا جاء ضمن جملة من الأمن للسيطرة عن كل ما يدور داخل المدينة من بيانات ، بعد شر و توزيع بيان المخلوفي الذي يدعو فيه الناس إلى العصيان المدني و قلب نظام الحكم بالقوة ، و أيضا يذكر في روايته هذه أنه و رغم جو العتمة إلا أنه ظل متمسكا بكتابات و رواياته فيسأل و يجيب في قوله « ما معنى رواية في ظل الموت و الرصاص و الخوف؟؟ و لكنها نصي ، لغتي ، تعبي ، خوفي ، يومي » فهو يرى أنه يتحدى الموت لمزاولته لأعماله يتحدى القتلى أيضا بأعماله الأدبية فقد كان الأديب أيضا عرضة للموت و تعتبر كتاباته سلاحا ضده ، فمن الطبيعي أن تتنازل أعماله الوضع الراهن للبلاد ، و هذا ما يجعل حياة الأديب على المحك .

لهذا يرى الأديب أنه لن ينجو من الموت و الاغتيال سواء نشر أو لم ينشر ، فيدرك أنه على الأقل يقول ما يجب قوله و ما يمكن قوله مهما كان الثمن غاليا ، و إلا سينحصر كثيرا على الكلمات التي بقيت حبيسة بداخله ، فيموت و هو لم يبدي رأيه جراء ما يحصل ، و بعدها يخرج الأستاذ لاستكمال ما خرج لأجله و هو يصف الشوارع الجزائرية في فترة صعبة للغاية كل شخص يخشى الموت على أيدي مجهولة و دون سابق إنذار و بدون عذر واضح فكل من يشك في أمره يلقي الموت له بالمرصاد فيذكر الراوي قتل الصحفيين أيضا الذي ساد في هذه الفترة و التي أصبحت لا تحمل من العربية إلا رموزها تبحث عن الخبر ، و تسيل حسب قوة التيار ، مدحت أفلان ثم تخلت عنها لتمدح الإسلاميين من الانتخابات البلدية ، كما ذكر من خلالها روايته معاناة الصحفيين أمثال فاطمة التي جمعه بها حوار مطول في المطعم عن الصحافة ، عن صدام ، عن فلسطين و العربية التي تقاوم انقراضها

فاطمة قالت في مقتل الطاهر جاووت أبدت رأيها قائلة المستقصد ليس الكاتب باللغة الفرنسية ، و لكن العقل الحر و المناهض و اللغة ليست إلا ثانوية ، فكان أول من وقف في وجهها مدير الجريدة نفسه ، و أقام لها محاكمة .
فالصحي أيضا عانى التهميش و الإقصاء ، و أشار الراوي في روايته إلى نقشي المحسوبية و الفساد في الادارة بوجه الخصوص في هذه الفترة .

يوصل الأستاذ طريقه إلى المقبرة «مقبرة العالية» لحضور جنازة يوسف ، و في تنقلاته هذه يفتح المجال و يصف الشارع الجزائري و عقلية الشعب و الاختلافات الكثيرة إضافة إلى ذلك علامات الاستفهام التي تتبع عن كل شيء ، و أيضا التطرف الديني ، فهناك نوع من البشر قد تطرف بدينه و أصبح يرى العلوم الأخرى "السياسة ، الاقتصاد ، و الفلسفة ، الفنون و غيرها لا قيمة لها وصل إلى مقبرة العالية تحدث عن شكلها و بدا بذكر يوسف الذي كان مولعا برسم النور ، يوسف سجن لمدة طويلة بتهمة التحريض ضد السلطات العسكرية ، فوضع اللوم على نفسه لأنه كان بإمكانه أن يتفادى الكلام الزائد ، و مرة اتهم بالجنون و تهديد الناس بالقتل ، و أدخل إلى المستشفى لمدة سنة و قبل أحداث 1988م بساعات قليلة أخذوه من بيته بحجة أن هناك أزمة و ما استطاع أن يفهم ذلك إلا بعد اندلاع أحداث أكتوبر أنهم من دبر كل شيء و أن كل من سيسبب لهم الإزعاج من مثقفين و فنانين و نقابيين دفنوه في الحجز إلى غاية انتهاء الإضراب و في أحد الأيام قتل في بيته ، بحجة أنه كان يرسم كثيرا و سبب المسلمين لذا يجب إسكاته .

انتهت المراسيم "مراسيم الجنازة " و الشمس انكسرت نحو المغرب ، انطلق الأستاذ إلى بيته و هو يصف الحالة التي وصلت إليها الجزائر من جديد " خوف ، رعب ، قتل ، إرهاب ... " ليصل إلى بيت فاطمة من جديد .





ذَاكِرَةُ الْمَاءِ

علي مولا

«إن هذا النصّ يجهد نفسه للإجابة عن بعض مستحيالاته بدون أن تخسر الكتابة شرطها.

كُتِبَ داخل اليأس والظلمة بالجزائر ومدنٍ أخرى على مدار سنتين من الخوف والفضيحة بدءاً من شتاء 1993، أي منذ ذلك اليوم الممطر جداً، العالق في الحلق كفضة الموت والذي لم تستطع الذاكرة لا هضمه ولا محوه بين دهاليزها ورمادها، وأنهى بالجزائر في سنة 1995، ذات يوم شتوي عاصف على واجهة بحر خالٍ لم يكن به إلا أنا وامرأة من رخام ونور ونورس مجنون كان يبحث عن سمكة مستحيلة ضاعت داخل موجة جبلية..

واسيني الأعرج. مواليد 1954، بتلمسان. جامعي وروائي. يشغل اليوم منصب أستاذ كرسي بجامعة الجزائر المركزية والسوربون بباريس. ويعتبر أحد أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي.

على خلاف الجيل التأسيسي الذي سبقه، تنتمي أعمال واسيني، الذي يكتب باللغتين العربية والفرنسية، إلى المدرسة الجديدة التي لا تستقر على شكل واحد بل تبحث دائماً عن سبلها التعبيرية بالعمل الجاد على اللغة وهز يقينياتها. فاللغة ليست معطى جاهزاً ولكنها بحث دائم ومستمر.

* في العام 1997 اختيرت روايته حارسة الظلال (دون كيشوت في الجزائر) ضمن أفضل خمس روايات جزائرية صدرت بفرنسا.

* تحصل في العام 2001 على جائزة الرواية الجزائرية.

* اختير في العام 2005 كواحد من ستة روائيين عالميين لكتابة التاريخ العربي الحديث، في إطار جائزة قطر العالمية للرواية.

* فاز في سنة 2007 بجائزة الآداب الكبرى (الشيخ زايد) عن روايته: كتاب الأمير.

* تُرجمت أعماله إلى العديد من اللغات الأجنبية من بينها: الفرنسية، الألمانية، الإيطالية، السويدية، الإنجليزية والإسبانية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم عباس :الرواية المغاربية ،تشكيل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي دار الرائد ،الجزائر ،ط1، 2005.
2. إبراهيم أحمد الزيات و آخرون :معجم الوسطي،تح مجمع اللغة العربية ،باب الميم ،مادة محن ،ج3،مكتبة مشكاة الإسلامية .
3. ابراهيم مصطفى حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، ج،1 المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول، دت، د ط.
4. ابن منظور الفريقي، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 2003،ط4.
5. ادوارد سعيد :صورة المثقف ،ترجمة غسان غصن ،دار النهار للنهار للنشر ،بيروت ،1996.
6. الصادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي.
7. الإمام العلامة إبن المنظور .لسان العرب باب الميم ،مادة محن ،ج13،دار إحياء التراث العربي للطباعة و النشر و التوزيع .ط:3، 1999م .
8. أمنة بلعلي :المتخيل و السلطة في الرواية الجزائرية(من المتماثل إلى المتخلف دار الأمل للطباعة وانشر و التوزيع .2006.
9. أمنة بلعلي :المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف ،دار الأمل ،الجزائر 2007.
10. بوشوشة بن جمعة :جدلية الوطن المنفى و ذاكرة الرهانات الخاسرة في رواية شرفات بحر الشمال مجلة العلوم الأساسية ،العدد 10،جامعة بسكرة ،2004م .
11. جان بول سارتر :دفاع عن المثقفين :تر :جورج طرابيشي :منشورات دار الأدب، بيروت ،ط ،1973،1.
12. حسن خمري :فضاء المتخيل ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،ط 1 ،2002.
13. سيد حامد النساج، بانو راما الرواية العربية الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دت، ط 2.

قائمة المصادر والمراجع

14. الشريف حبيلة :الرواية و العنفدراسة سوسيو نصية ،في الرواية الجزائرية المعاصرة ،عالم الكتب الحديث ،أريد لبنان ،ط1، 2010.
15. الصادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي، دار الجنوب للنشر، تونس، 2003، ط2.
16. صدار نور الدين :البنوية التكوينية ،مقاربة نقدية في التنظير و الانجاز ،مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط1، د.ط، 2009.
17. الطاهر لبيب و آخرون :الثقافة و المثقف في الوطن العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية ،الطبعة الثانية، 2002.
18. عادل صرعام: في السرد الروائي ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،بيروت ط1، 2010م .
19. عادل عبد الله : المثقف السياسي ،بين تصفية السلطة و حاجة الواقع ،دار القرابي ، بيروت ،لبنان الطبعة 1، 2008 .
20. عبد الله أبو هيف :الابداع السردى الجزائري ،الجزائر عاصمة القافة العربية ،الجزائر ،د،ط، 2007.
21. عبد الله الشطاح ،مدارات الرعب (فصاء العنف في رواية العشرية ،مطبعة ألف للاتصال و الأسفار ،2014.
22. عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، -1804. 242- 248م، د ط.
23. عمار بلحسن الأدب و الإيديولوجية ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984.
24. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخا، وأنواعا، وقضايا، وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت.
25. فريدة ابراهيم موسى :زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية ،دراسة نقدية ،دار غيداء للنشر و التوزيع ،عمان ،2011.
26. فريدة إبراهيم موسى :زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية ،دراسة نقدية ، دار غياء للنشر والتوزيع ،عمان ،2011 .

قائمة المصادر والمراجع

27. فيصل دراج :نظرية الرواية المعاصرة ،المركز الثقافي العربي ،بيروت ،ط1999،1م .
28. كريبع نسيمة :ابعاد الصراع الإيديولوجي لشخصية الفنان في رواية بم تحلم الذئب لياسمينة خضرا مجلة الأثر،العدد14،جامعة جيجل ،الجزائر ،2012.
29. محمد داود :الرواية الجديدة بنائيتها وتحولاتها .مقاربة سوسيو نقدية ،ابن نديم للنشر و الثورة ،وهران ،الجزائر ،ط1،2013 .
30. محمد داود:الأدباء الشباب و العنف في الوقت الراهن ،ضمن مجلة دفاتر إنسانية،مجلة جزائرية في الانثربولوجية و العلوم الاجتماعية ،تصدر عن مركز البحث في الانثربولوجية الاجتماعية الثقافية ، الجزائر ،ع1.
31. محمد سبيلا :عبد السلام بنعبد العالي ،الإيديولوجية، دار توبقال للنشر، لدار البيضاء ،ط2، 2006.
32. محمد كمال الخطيب :الرواية و الواقع ،دار الحداثة ،ط1، 1981.
33. مخلوف عامر ،الرواية و التحولات في الجزائر ،دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية ،دار الأديب ،منشورات مديرية الثقافة لولاية معسكر ،د،ط.د،ت.
34. مريم جبر فريحات :التحليلات الملحمية في رواية الأجيال العربية ،وزارة الثقافة ،عمان الأردن ،ط2005،1م .
35. مصطفى مرتاض علي محمد :المتقف و السلطة دراسة تحليلية لوضع المتقف المصري في الفترة 1970.1995،دار فياء للطباعة و النشر و التوزيع ،القاهرة ،ط1 ، 1998.
36. نبيل سليمان :الرواية العربية و المجتمع المدني ،الدار العربية للعلوم ،بيروت ،ط1، 2010.
37. واسني الأعرج :ذاكرة الماء ،ورد للطباعة و النشر و التوزيع ،سوريا ،دمشق ط4، 2008
38. واسيني الأعرج ،سيدة المقام ،مراصي الجمعة الحزينة ،دار ورد للطباعة و النشر و التوزيع .سوريا ،دمشق ،ط5، 2006.
39. واسيني الاعرج ،سيدة المقام مراصي الجمعة الحزينة .

قائمة المصادر والمراجع

40. واسيني الأعرج: حارسة الظلال ،دون كيشون في الجزائر ،منشورات الجمل ، ط1999 .
41. واسيني الأعرج: ذاكرة الماء ،محنة الجنون العاري ،ورد للطباعة و النشر للتوزيع سورية ،ط4، 2008.
42. ينظر :واسيني الأعرج ،حارسة الظلال دون كيشون في الجزائر ،سعاد عبد الله العنزي ، صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية ،المعاصرة ،دراسة نقدية ،دار الفراشة للطباعة و النشر ،الكويت ،ط1، 2010.
43. ينظر واسيني الأعرج : سيدة المقام ،عن مخلوف عامر .الرواية و التحولات في الجزائر.
44. يوسف بن خدة :شهادات و مواقف ،دار النعمان ،برج الكيفان ،الجزائر ط1.
45. يوسف وغليسي : اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد منشورات الاختلاف ،الجزائر ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،بيروت ،ط1، 2008م.

الفهرس

الفهرس

شكر وعرافان

أ مقدمة

المدخل : نشأة الرواية الجزائرية

الفصل الأول: الصراع الأيديولوجي في الرواية الجزائرية

14 تمهيد

15 أولا : مفهوم المحنة

17 ثانيا : العشرية السوداء في الجزائر

22 ثالثا : كتابات واسيني الأعرج ضمن أدب المحنة

الفصل الثاني: تجليات المحنة في رواية ذاكرة الماء

30 1-الايديولوجية

36 2- المتقف

43 3- ثالثا : مظاهر العنف في رواية ذاكرة الماء «لواسيني الأعرج»

51 الخاتمة

53 الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

ملخص البحث :

ان التجربة المأساوية التي عاشتها الجزائر منذ مطلع التسعينات من العقد الماضي لم تكن تجربة عادية في مسلسل التحول إلى الديمقراطية الذي عرفته بلدان كثيرة في العالم ، بل كانت نموذجا لقياس صيغة الانتقال الى التعددية وألياتها وما تجيبه من استحضارات قبل البث في حقيقتها العملية ، وذلك لما أسفرت عنه من نتائج ومضاعفات نالت من هيبة الدولة الجزائرية الداخلية والخارجية ، وقد انفجرت على الساحة الجزائرية جميع الميولات والحساسيات والقاعات انطلاقا من خلفيات عقائدية وايدولوجية وحتى طائفية ومصالحية ، حيث وقعت الجزائر على اثرها في مواجهة دموية هي الأولى من نوعها ، تشابكت فيها خيوط الأزمة إلى حد الحرب الأهلية . غير المعلنة التي أحدثت صدمة في الوعي الشعبي والرسمي معا وهددت بنسف أركان الدولة وتقويض أسس المجتمع ، وهذا ما تحمله رواية ذاكرة الماء ، فقد جعل منها الروائي واسيني الأعرج مصبا لمعاناة الشعب الجزائري المتقف على وجه الخصوص ورصد فيها المرحلة الحاسمة التي كانت بعد الاستقلال طيلة عشرية كاملة من العنف والإرهاب والقتل والشتات .

الكلمات المفتاحية : المحنة - العشرية السوداء - المتقف - أيديولوجية - العنف - السطلة - الإرهاب

Resume

C'était un modèle de mesure de la formule de transition vers le pluralisme, de ses mécanismes et des évocations auxquelles il répond avant de diffuser dans sa réalité pratique, en raison des résultats et des complications qu'elle a engendrés qui ont affecté le prestige interne et externe de l'État algérien. Alors que l'Algérie tombait sous son impact dans une confrontation sanglante, la première du genre, dans laquelle les fils de la crise étaient entrelacés au point de faire la guerre.

Le non-dit qui a provoqué un choc dans la conscience populaire et officielle ensemble et a menacé de faire sauter les piliers de l'État et de saper les fondements de la société, et c'est ce que porte le roman Water Memory. De la violence, du terrorisme, du meurtre et de la diaspora.

Mots clés: calvaire - la décennie noire - intellectuel - idéologie - violence - pouvoir - terrorisme.